نعمة الأمن في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

إعداد

د/ أسامة عبدالرحيم محمد حسين

مدرس التفسير وعلوم القرآن

في كلية أصول الدين بأسيوط

نعمة الأمن في القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

أسامة عبد الرحيم محمد حسين

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بأسيوط، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الالكتروني: osamahussein4819@azhar.edu.eg

الملخص

بدأ الباحث بحثه بالحديث عن أهمية الموضوع بالنسبة للحياة المعاصرة، منوهاً عن مفهومه من ناحية اللغة والاصطلاح، وكيفية وروده في السياقات القرآنية، ومعانيه الواردة كما جاءت في القرآن الكريم، كما طالب الباحث بأخذ الأسباب المؤدية لإحلال الأمن وبقائه، ومن أهم هذه الأسباب الإيمان بالله تعالى وما يتبعه من أعمال صالحة، وتحدث عن ثمرات الأمن في الدنيا، المتمثلة في إغداق النعم على البشر، وما يتبعه من رفاهية في المعيشة، وطمأنينة في المسكن، ووضح عاقبة فقدان هذا الأمن في الحياة الدنيا بالنسبة للبشرية جمعاء، وما أصابها جراء فقدانه من هم وحزن وخوف مسيطر عليها في جميع المجالات، وأخيراً ذكر الباحث ثمرات الأمن في الدار الآخرة، المتمثل في النعيم المقيم، في ظل ظليل عند رب كريم، وعاقبة فقدانه التي تستتبع دخول النار، وما يصحبها من هول وفزع وخوف لا يعلمه إلا الله تعالى، وكفى بها عاقبة وخاتمة.

الكلمات المفتاحية: **أسباب وجود الأمن، عواقب الأمور، الدنيا، الآخرة.**

The blessing of security in the Holy Qur'an (An Objective study)

Osama Abdul Rahim Muhammad Hussein
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences، Faculty of Fundamentals of Religion in Asyut، Al-Azhar University، Egyp.
E-mail: osamahussein4819@azhar.edu.eg

Abstract:

The researcher began his research by talking about the importance of the topic in relation to contemporary life noting its concept in terms of language and convention، how it appears in the Qur'anic contexts and its meanings contained as it came in the Holy Qur'an. The researcher also called for taking the reasons leading to the establishment and survival of security and among the most important of these reasons is belief in God Almighty and the righteous deeds that follow. He talked about the fruits of security in this world represented by bestowing blessings on people، the subsequent luxury in living and tranquility in the home. He explained the consequence of losing this security in this worldly life for all humanity and what happened to it as a result of losing it as sadness، gloom and fear that dominated on all fields. Finally، the researcher mentioned the fruits of security in the hereafter represented in the bliss residing in the shade of the generous Lord، the consequence of losing it that entails entering Hellfire and the horror، panic and fear that accompanies it، that only God Almighty knows it and suffices it as a consequence and conclusion.

Key words: The reasons for the existence of security, The consequences of affairs, The world, The hereafter.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛؛؛

فالقرآن الكريم بيان معجز رحب ونبع فياض تتفجر دلالاته الموحية إلى ما لا نهاية، ولقد حظيت قضايا القرآن ودراسة موضوعاته، بعناية كبيرة، لا سيما في الآونة الأخير، فنصوص القرآن الكريم تهب القارئ أفقاً رحيباً من الموضوعات المتعددة التي يمثل كل منها وحدة متكاملة محددة الملامح، كما لو أنك وجدته في كتاب منفرد، يتفاعل فيها المعطي الإيماني مع الصياغة المنمقة الموضوعية، فيشكلان معا نسيجاً عجيباً في صورة متكاملة، تفهم المعنى وتوضح المراد من الموضوع ككل، فيتجلى الموضوع ويظهر المقصود أيما تجل، ومن هنا تظهر العبرة، فيأخذ كل واحد ما يحتاجه وما يريده.

ومن تلك الموضوعات المهمة الواردة في كتاب الله – تعالى – موضوع "الأمن" تلكم القضية التي نحتاج إلى فهمها، وإظهار المراد منها؛ حتى يتسنى لنا كسب مضمونها، والاتصاف بمفهومها.

ومن المعلوم أن قيمة الأمن، تحتاج إليه الإنسانية الآن أشد الاحتياج؛ ذلك لأن القلق والخوف مسيطران عليها في كل مجالات الحياة، وذلك شيء طبيعي، فالشيء الذي به راحة الضمير، وسكون القلب قد ولى، ولا مناص من الإصغاء إلي صوت الحق والرجوع إلى نبع الأمن الصافي، ألا وهو كتاب الله – تعالى – فهو الروح – روح البشرية الحقيقي– كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ

جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢] كما أن الأمن يعتبر من أهم مطالب الحياة الإنسانية، لتحقيق مصالح الأفراد والشعوب، فمن غيره تصبح الحياة غابة يأكل القوي فيها الضعيف؛ من هنا ندرك أهمية الأمن في حياة الإنسان والإنسانية، ونستشعر الرعاية الإلهية من خلال التوجيهات القرآنية المعجزة في هذا الشأن.

وعلى وفق ذلك كان مدار هذا البحث حول تتبع رؤي النص القرآني متمثلا بمعنى من المعاني المهمة وهو معنى (الأمن) ومفاهيمه المتعددة حسبما ورد في التعبير القرآني – تشكيلاً وتوظيفاً وأداءً وموضوعاً – تتبعاً يعتمد استقراء الشواهد والتحليل النصي للآيات الكريمة محل البحث، وصولاً إلى مجموعة من الخصائص والسمات المتفردة التي حظي بها هذا التعبير القرآني لهذا الموضوع.

وذلك بحسبان دلالات كلمة الأمن – ولا شكَّ – تتميز عن غيرها من ألفاظ الخطاب غير القرآني بميزات وخصائص، جعلتها توصف بالجمال والجلال والبلاغة، والدقة اللامُتناهية في الدِّلالة على المعنى المراد.

فمهمة هذه الدراسة هي جمع الآيات المتناثرة في القرآن الكريم التي تتحدث عن موضوع "الأمن" في مكان واحد، ثم دراستها دراسة متكاملة؛ من أجل فهم الموضوع فهماً جيداً؛ ليتأتى لنا الوقوف والمعرفة لجزء يسير من عظمة القرآن الكريم من خلال التعبير عن موضوع "الأمن".

ومن ثم كان الهدف هو التركيز على الجانب الموضوعي للآيات، عبرَ تناولِ الآيات الواردة في البحث وتفسيرها تفسيراً موضوعياً بشرح غريبها وإزالةِ غموضها وتبيينِ مقصدِها ومغزاها، حتى يمكن لنا الوقوف على معنى

الآية ومقصدها على حدة، وهو ما يقودنا بعد ذلك إلى ربط الآيات بعضها ببعض، وإن كانت متفرقة في المصحف الشريف، ومن ثم نستطيع تقسيم المعاني الواردة في الآيات إلى معان محددة، ومنها إلى جعل الموضوع وحدة متكاملة متناسقة وكأنه موضوع منفرد.

وذلك وفق المنهج الموضوعي الذي يقف أمام مكنونات النص القرآني، معتمداً على أقوال المفسرين في معنى الآيات الكريمة في هذا الشأن، وما ترمي إليه من أهداف وعبر وعظات، تهدي إلى الرشد وإلى طريق مستقيم.

وعليه فالبحث يضم في طياته خمسة مباحث يسبقهم تمهيد.

أولاً: التمهيد ويشتمل على:

(١) مفهوم الأمن لغة واصطلاحاً، والعلاقة بينهما.

(٢) كلمة الأمن ومعناها اللغوي والدلالي.

المبحث الأول: أمن ومشتقاتها في السياق القرآني.

المبحث الثاني: معاني الأمن في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أسباب وجود الأمن.

المبحث الرابع: ثمرات الأمن في الدنيا، وعاقبة فقدانه.

المبحث الخامس: ثمرات الأمن في الآخرة، وعاقبة فقدانه.

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه، فهو الموفق، والهادي إلى الصراط المستقيم.

الباحث

تمهيد

أولاً: مفهوم الأمن لغةً واصطلاحًا، والعلاقة بينهما:

(١) الأمن في اللغة:

تدور مادة " أمن " في اللسان العربي على سكينة القلب التي يطمئن إليها بعد اضطرابه، كما تعني الاستقرار والسلامة والبعد عن المخاطر، وأصل هذه الكلمة تستعمل في سكون القلب [١].

قال الراغب: أصل الأَمْن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأَمْنُ والأَمَانَةُ والأَمَانُ في الأصل مصادر[٢].

فالأمن: (بتسكين الميم) مصدر أَمِنَ يأمن فهو آمن، والأمان ضد الخوف، الذي يعني الفزع وفقدان الاطمئنان[٣]، وقيل: " الأمْن والآمِن: كصاحب، ضد الخوف، أمِن كفرح أمناً وأماناً بفتحهما، وأمناً وأمَنَةً محركتين، وإمِناً بالكسر، فهو أمِن وأمين كفرح وأمير، ورجل أمَنَةٌ كهمزة ويحرك يأمنه كل أحد في كل شيء "[٤] وقيل: " الأمان والأمانة بمعنى وقد أمنْتُ فأنا آمن،

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ٢١/١٣، فصل: الألف، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة ١٩٩٦م ١٤١٤هـ.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، صـ ٩٠، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ.

(٣) القاموس المحيط للفيروز أبادي: ١٩٧/٤، مادة (أمن)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوس: الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

(٤) المرجع السابق: ١٩٧/٤، مادة (أمن).

وآمنت غيري من الأمن والأمان ... " [١].

فالمعنى اللغوي يدور حول الطمأنينة التي تسكن القلب والاستقرار النفسي حيال ما يفعله الإنسان أو يعتقده ويؤمن به.

(٢) الأمن اصطلاحاً:

لا يخرج تعريف الأمن الاصطلاحي كثيراً عن معناه اللغوي حسب فهم العلماء لذلك، حيث تعددت عباراتهم له، ولكن مفهومه عندهم يرجع إلى حالة السلم العام، والحفظ، والإجارة وطلب الحماية، وعدم الخيانة، والثقة، والتصديق والسكينة والطمأنينة.

فقد عرف المناوي الأمن بأنه: عدم توقع مكروه في الزمن الآتي، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف، وأمن بالكسر أمانة فهو أمين، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازا، فقيل للوديعة أمانة، ونحو ذلك [٢]، وكذا عرفه الجرجاني[٣]، وقد حدد الماوردي قواعد صلاح الدنيا وانتظام عمرانها، وهي عنده ستة أشياء (دين متبع، وسلطان قاهر – دولة قوية – وعدل شامل، وأمن عام، وخصب دائم، وأمل فسيح) فإنه قد جعل " الأمن العام " القاعدة الرابعة من قواعد صلاح الدنيا وانتظام العمران، وعن هذه القاعدة يقول: (وأما القاعدة الرابعة فهي أمن عام تطمئن إليه النفوس، وتنتشر به الهمم،

---

(١) مختار الصحاح لأبي بكر الرازي: ٢٠٧١/٥، مادة (أمن)، تحقيق: محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ط: جديدة.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف للمِناوي (ت ١٠٣١هـ)، صـ ٩٤، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط: الأولى ١٤١٠هـ.

(٣) التعريفات للشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، صـ ٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء: الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش؛ لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قِوام أوَدِهم[١]، وانتظام جملتهم ... والأمن المطلق: ما عَمَّ، والخوف قد يتنوع تارة ويعم، فتنوعه بأن يكون تارة على النفس، وتارة على الأهل، وتارة على المال، وعمومه أن يستوجب جميع الأحوال)[٢].

ويعقب على ذلك الدكتور محمد عمارة قائلاً: فهو أمنٌ عامٌ مطلق اجتماعي يحقق طمأنينة النفوس .. وتنتشر به الهمم وتنمو به الملكات والطاقات .. لأن الخوف – وهو نقيض الأمن – كما يقول الماوردي: يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم، وانتظام جملتهم .. [٣].

أما الباحثون المعاصرون فقد فصَّلوا في معنى الأمن، وتعدَّدت تعريفاتهم الاصطلاحية له باختلاف المنظور والمنطلق الذي ينظرون إليه عند تعريفهم له.

فمنهم من جعل نظره قاصراً على مقاصد الشرع، وعرفه بأنه: " الاستعداد والأمان بحفظ الضرورات الخمس من أي عدوان عليها، فكل ما

(١) (أَوِدَ) الشَّيْءُ اعْوَجَّ وَبَابُهُ طَرِبَ وَ(تَأَوَّدَ) تَعَوَّجَ. مختار الصحاح: ٢٥/١، مادة (أود).
(٢) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، صـ ١١٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
(٣) الإسلام والأمن الاجتماعي: د/ محمد عمارة، صـ ١٥، دار الشروق، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

دل على معنى الراحة والسكينة، وتوفير السعادة والرقي في أي شأن من شؤون الحياة فهو أمن "[١].

وكذا عرفه الخادمي بأنه: " هو اطمئنان الإنسان على دينه ونفسه وعقله وأهله وسائر حقوقه، وعدم خوفه في الوقت الحالي أو في الزمن الآتي، في داخل بلاده ومن خارجها، ومن العدو وغيره، ويكون ذلك على وفق توجيه الإسلام وهدي الوحي، ومراعاة الأخلاق والأعراف والمواثيق "[٢].

ومنهم من نظر إليه مجتمعياً فذكر أنه " الطمأنينة المقابلة للخوف والفزع والروع في عالم الفرد والجماعة، وفي الحواضر ومواطن العمران، وفي السبل والطرق، وفي العلاقات والمعاملات، وفي الدنيا والآخرة جميعاً "[٣].

ومنهم من نظر إلى البعد السياسي للمصطلح فعرفه بأنه: " مجمل الإجراءات الأمنية التي تتخذ لحفظ أسرار الدولة، وتأمين أفرادها، ومنشآتها، ومصالحها الحيوية، ويعني الطمأنينة والهدوء، والقدرة على مواجهة الأحداث والطوارئ دون اضطراب "[٤].

---

(١) مقومات الأمن في القرآن الكريم: إبراهيم الهويمل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ١٥، العدد ٢٩، صـ ٩.

(٢) القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل: نور الدين الخادمي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٢١، العدد ٤٢، صـ ١٦.

(٣) الإسلام والأمن الاجتماعي: د/ محمد عمارة، صـ ١١، دار الشروق ٢٠٠٧م.

(٤) الأمن الاجتماعي ضبط المصطلح وتأصيله الشرعي: د/ عماد "محمد رضا" علي التميمي و د/ إيمان "محمد رضا" علي التميمي، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي تقيمه كلية الشريعة في جامعة آل البيت بعنوان الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي ٢٠١٢م.

مما سبق ذكره من تعريفات العلماء والباحثين لمصطلح الأمن في اللغة والاصطلاح، نلحظ تقارباً قوياً بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي؛ فالعلماء متفقون على المحاور الأساسية في تحديد دلالة المصطلح، وإن اختلفت ألفاظهم، فالتعريف بهذه التقييدات يظهر أن الأمن لا يتحقق إلا بحفظ الضرورات الخمس التي جاءت الشريعة الإسلامية بحفظها، والتي جاء الأمر بتطبيقها في القرآن الكريم، وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

ولقد جمعت شريعة الإسلام المحاسن جميعها، فصانت الدين وحفظت العقول، وطهرت الأموال، وصانت الأعراض، وأمنت النفوس.

فالمسلم في ظل الشريعة الغراء لا يخاف الفتنة على دينه، فيعبد الله لا يصده أحد عن ذلك، وعرضه مصون فلا يعتدي أحد عليه، وماله كذلك لا يخشى ضياعة، ولا سرقته، وقبل ذلك لا يخاف على نفسه فدمه لا يهدر، فقتله أشد شناعة من هدم الكعبة المشرفة.

بل حذرت الشريعة الإسلامية من إظهار أسباب الروع بين صفوف المسلمين، فقد قال – ﷺ –: « لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَحَدُكُمْ لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ »[1].

بل وإن كان الشخص مازحاً مع أخيه، لا يجوز ذلك، فقد قال – ﷺ –: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»[2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم: ٤/٢٠٢٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم: ٤/٢٠٢٠.

فنعمة الأمن في الأوطان والديارمن أجل النعم، ولا تصلح الحياة إلا به، فبدونه لا يطيب العيش؛ ولذا يبين الرسول – ﷺ – أهمية الأمن في حياة الإنسان فيقول: «مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ طَعَامُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»(١).

ثانيا: كلمة الأمن ومعناها اللغوي والدلالي:

إن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين لفظ (الأمن) من جهة، وبين لفظي (الإيمان) و(الأمانة) من جهة أخرى، هذا الترابط ينسحب على المعنيين (اللغوي والدلالي) على السواء.

فالعلاقة بين (الأمن) (الإيمان) و(الأمانة) تتضح من نفس مبنى الكلمة في اللغة العربية، فإن كلمتي (الإيمان) و(الأمانة) تتركب حروفهما الأصلية من نفس الكلمة التي تتركب منها حروف كلمة (الأمن) وهي (الهمزة والميم والنون (أَمِنَ) فهذه المادة – مادة (أمن) – يشتق منها الإيمان، وتدل عليه كما تدل على الأمن، وتدل على مادة أخرى وهي (الأمانة).

قال الجوهري: " الأَمانُ والأَمانَةُ بمعنىً، وقد أَمِنْتُ فأنا آمِنٌ، وآمَنْتُ غيري، من الأمن والأمان، والإيمان: التصديق "(٢).

" فكلمة (أَمَنَ) لها أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة،

---

(١) الأدب المفرد للإمام البخاري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي: ١١٢/١، وهو حديث حسن، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ت ٣٩٣هـ): ٢٠٧١/٥، مادة (أمن)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق "[1] والتصديق هو الإيمان.

فهذه الكلمة متقاربة في الاشتقاق اللفظي، ومتقاربة كذلك في المعنى وفي الدلالة؛ فهي كلماتٌ ثلاث ترجع في اشتقاقها اللُّغوي إلى أصل واحد، وارتباطها اللُّغوي جعل بينها ارتباطاً واقعياً في المادة والمعنى[2].

وبيان ذلك: أن منطلق الأمن العام هو الأمن النفسي الذي يزكيه ويقومه الإيمان، ذلك أن الإنسان بدون إيمان حقيقي مرتبط بالثواب والعقاب، يجعله في قلق وحيرة من أمره في تصور الأشياء، من حلال وحرام، من خطأ وصواب، من فساد وصلاح، كما أنه يتساوى لديه المتضادات، فلا يفرق بين الحق والباطل، بين ما يؤذي وبين ما يهدي ويصلح، فيحدث عنده اضطراب واختلال في تصور الأشياء، أو في بعضها، على حسب الأحوال والشخصيات والبيئات.

وكثيراً ما تناول القرآن الكريم هذا الجانب؛ " لارتباط الكفر والإيمان بالأمن النفسي، وأثره على سلوك الفرد والمجتمع؛ ذلك أن الإيمان منطلق سلوك الإنسان العقلي والعملي، ولذلك نجد الأحكام التكليفية في القرآن يتقدمها النداء بوصف المؤمنين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، مما يحقق الأمن النفسي الذي هو أساس الأمن العام وما يتفرع عنه، والوصف بذلك جار مجرى اللقب لهم، مع ما يؤذن به أصله من أهليتهم لتلقي هذا الأمر بالامتثال "[3].

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ١٣٣/١، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م.

(٢) نظرات في كتاب الله: هِشام عبد الرَّزاق الحمص، صـ ٤٥، دار الكلم الطيب، دمشق، ط: الخامسة ٢٠٠٣هـ.

(٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ٢١٥/٢٦، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ.

قال ابن مسعود – ﷺ – وغيره من السلف: إذا سمعتَ الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فَأَرْعِهَا سَمْعَكَ فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه[1].

فقد شرط المولى – تعالى – تحقق الأمن العام بتحقيق الإيمان الكامل، ولا يتحقق إلا بالرضوخ لشريعة الله – سبحانه –؛ من أجل ذلك أخذت عقيدة التوحيد مساحة واسعة من الآيات القرآنية؛ فظلت الدعوة المحمدية ثلاثة عشر عاماً في قضية واحدة، لا غير، هو التوحيد، والتوحيد فقط، أو تحقيق معنى كلمة (لا إله إلا الله) مما يدل أن هناك ارتباطاً قوياً واتصالاً وثيقاً بين رسوخ عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى، وبين الأمن والأمان في النفس البشرية.

فالإيمان هو: التصديق الذي معه أمن، بمعنى أن الإيمان الحقيقي من ثمراته الأمن والاستقرار النفسي؛ حتى قال بعض أهل العلم باللغة: " إن اشتقاق الإيمان من الأمن، فمادتهما الأصلية واحدة، أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف ... و "آمن" إنما يقال على وجهين: أحدهما: متعدّيا بنفسه، يقال: آمنته أي جعلت له الأمن، ومنه قيل لله مؤمن؛ والثاني: غير متعدّ، ومعناه صار ذا أمن ... "[2].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٥٧/١، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره المسمى تفسير القرآن العظيم: ٧١٨/٣، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة ١٤١٩هـ.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الاصفهاني، صـ ٢٢، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي ١٩٧٢م.

وكأن العلامة الأصفهاني – /- لا يتصور أن يكون هناك مؤمن وليس في قلبه أمن، أي سكينة واطمئنان، فلا اضطراب عنده ولا قلق ولا حيرة، لأنه مطمئن إلى ربه ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤]، وبقدر نقصان الإيمان ينقص الأمن النفسي لدى الإنسان، فالإيمان يقبل الزيادة والنقصان.

فالمدار إذن على وجود سكينة في القلب في جميع ما دارت فيه المادة، سواء في صورة "أمن" أو "آمن" المتعدي واللازم، فالمدارُ على هذه السكينة، وعلى هذه الطمأنينة التي تأتي في حقيقتها بعد نوع من القلق والاضطراب، وتأتي بعد قدر من الخوف[1] إذن فالأمن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان؛ لأن حقيقة الأمن بأنواعه ترجع إلى تحقيق الإيمان ومقتضاه في الشريعة.

بل حدِّد القرآن صفات "المؤمن الحق" في سورة "المؤمنون" فذكر – سبحانه– من جملة أوصاف هؤلاء المؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨]، والآية بنفس التعبير نجدها في سورة [المعارج: ٣٢] في سرد صفات المؤمنين.

والأمانة هنا بالمعنى العام، سواء كانت مادية أو معنوية، لكي يتحقق الأمن العام لدى الفرد والمجتمع؛ لذا قد وجدنا في آية أخرى أن الأمانة جاءت بصيغة الجمع، نهيا للمؤمنين عن الخيانة للعهد:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

---

(١) مفهوم الأمن في القرآن الكريم: أ.د/ الشاهد البوشيخي، مجلة حراء، العدد: ١٣ (أكتوبر – ديسمبر) ٢٠٠٨م.

ومن هنا يمكن القول: **أنّ (أ. م. ن) ومشتقاتها من (الأمانة إلى الْأَمَنَةُ والْأَمْنِ والْأَمَانُ والأمين) كلّها تعطي معنى التحرر من الخوف نتيجة الغش والخيانة والخديعة، فهي تعني الاطمئنان والسكينة والاستقرار النفسي مع راحة الضمير، فإذا انتقلت إلى الإيمان بالله ورسوله وبالمنزل عليه – ﷺ – وما يصحبه من العمل الصالح، فإنّها تحمل معها كلّ هذه الدلالات والمعاني.**

المبحث الأول

لفظة الأمن ومشتقاتها في السياق القرآني

ورد مصطلح الأمن ومشتقاته في السياق القرآني على عشرين صيغة وهي: (أمن – أمنتكم – أمنتم – آمنة – آمنون – آمنين – آمنوا – آمنكم – تأمنَّا – تأمنه – يأمن – يأمنوا – يأمنوكم – آمنًا – الأمن – أمنًا – أمنة – مأمنه – مأمون – آمنهم).

وذلك في أربع وعشرين سورة، وقد وردت هذه الصيغ في ثلاثة وأربعين موضعًا من كتاب الله، موزعة على ثلاث وأربعين آية، تسع وعشرين آية منها مكية، في سبع عشرة سورة، وأربع عشرة آية منها مدنية، موزعة في سبع سور وباشتقاقات متعددة: كصيغة اسم الفاعل، في قوله سبحانه: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وكالاسم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ ﴾ [النساء: ٨٣]، أو كالفعل في قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وكالمصدر كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥][(١)].

أولا: أمن ومشتقاتها في الآيات المكية.

فقد ورد مصطلح الأمن ومشتقاته في العهد المكي في تسع وعشرين آية، موزعة في سبع عشرة سورة، وذلك فيما يلي:

الآيتان الأولى والثانية: قال الله تعالى: ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١] مكية.

---

(١) ينظر: التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية): د/ عبد السلام حمدان اللوح، د/ محمود هاشم عنبر، صـ ٥، ٧، نشر في مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الاسلامية) مج ١٤ العدد ١ يناير ٢٠٠٦م.

وتأتي الآية الثانية بعدها مباشرة وهي قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] مكية.

الآيات الثالثة والرابعة والخامسة: قال الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٧] مكية.

ثم جاء بعد هذه الآية مباشرة: ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٨] مكية.

ثم تلاها قوله سبحانه: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] مكية.

الآية السادسة: قال الله تعالى: ﴿ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ [يوسف: ١١] مكية.

الآية السابعة: قال الله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤] مكية.

الآية الثامنة: قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩] مكية.

الآية التاسعة: قال الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٧] مكية.

الآية العاشرة: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥] مكية.

الآية الحادية عشر: قال الله تعالى: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٤٦] مكية.

الآية الثانية عشر: قال الله تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢] مكية.

الآية الثالثة عشر: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: ٤٥] مكية.

الآية الرابعة عشر: قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [النحل: ١١٢] مكية.

الآيتان الخامسة عشر والسادسة عشر: قال الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٨] مكية.

وقال – جل شأنه – بعدها: ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ [الإسراء: ٦٩] مكية.

الآية السابعة عشر: قال الله تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦] مكية.

الآية الثامنة عشر: قال الله تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٩] مكية.

الآية التاسعة عشر: قال الله تعالى: ﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١] مكية.

الآية العشرون: قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ [القصص: ٥٧] مكية.

الآية الواحدة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧] مكية.

الآية الثانية والعشرون: قال الله تعالى: ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨] مكية.

الآية الثالثة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧] مكية.

الآية الرابعة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [فصلت: ٤٠] مكية.

الآية الخامسة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ [الدخان: ٥٥] مكية.

الآيتان السادسة والعشرون والسابعة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك: ١٦] مكية.

وقال سبحانه بعدها: ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٧] مكية.

الآية الثامنة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [المعارج: ٢٨] مكية.

الآية التاسعة والعشرون: قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٤] مكية(١).

ثانياً: أمن ومشتقاتها في الآيات المدنية:

فقد ورد مصطلح الأمن ومشتقاته في الآيات المدنية. في أربع عشرة آية، موزعة في سبع سور، وذلك على النحو التالي:

---

(١) يراجع: الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، النوع الأول في معرفة المكي والمدني: ١/٣٦، وما بعدها، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

الآيتان الأولى والثانية: **قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥] مدنية.**

وقال تعالى بعدها مباشرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

الآية الثالثة: **قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] مدنية.**

الآية الرابعة: **قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٩] مدنية.**

الآية الخامسة: **قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣] مدنية.**

الآية السادسة: **قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَامَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَامَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥] مدنية، وهما موضعان في آية واحدة.**

الآية السابعة: **قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] مدنية.**

الآية الثامنة: **قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٤] مدنية.**

الآية التاسعة: **قال الله تعالى: ﴿ وإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴾ [النساء: ٨٣] مدنية.**

الآية العاشرة: **قال الله تعالى: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾ [النساء: ٩١] مدنية.**

الآية الحادية عشر: **قال الله تعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْه ﴾ [الأنفال: ١١] مدنية.**

الآية الثانية عشر: **قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة: ٦] مدنية.**

الآية الثالثة عشر: **قال الله تعالى: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور: ٥٥] مدنية.**

الآية الرابعة عشر: **قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] مدنية[(١)].**

هذا الاختلاف الجلي في ذكر عدد مواضع هذه اللفظة القرآنية بين الآيات المكية والمدنية، يشعرنا بافتقاد العهد المكي للأمن بالنسبة للمسلمين، بخلاف العهد المدني فقد كان المسلمون أكثر أمانًا، إذ قامت لهم دولة على أرض المدينة، وإن كانت الغزوات والحروب قد بدأت هناك، إذ المقصود من الأمن السكينة والاستقرار النفسي أولاً، أي الأمن المعنوي فأصبحوا في مأمن من المشركين حتى لا يفتنوهم عن دينهم، ثم حماية الأفراد والجماعات داخل تلك الدولة، وهو ما يمكن أن نعبر عنه بالأمن المادي، فالأمن المعنوي يوجد أولاً في عالم الضمير، ثم يترجم ثانياً على أرض الواقع، فلا يمكن إيجاد

(١) يراجع: البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ): ١/١٩٤، باب: ذِكْرُ تَرْتِيبِ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى، ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

الأمن المادي – بالنسبة للمسلمين – إلا بعد وجود الأمن المعنوي، وإن كان الأول – في بعض الأحيان – سبباً في الأمن المعنوي؛ ذلك لأن القوة والمنعة التي تحمي الأفراد تسبب الأمن، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الحرب ضد الأعداء تدفعهم إلى الاختباء والخوف مما يسبب الأمن للمسلمين في داخل قطرهم ومسكنهم.

المبحث الثاني
معاني الأمن في القرآن الكريم

وردت كلمة الأمن وما يشتق منها في القرآن الكريم في مواضع عديدة، حاملة معها معاني متعددة وإطلاقات متنوعة، ترجع في أصلها إلى معنى الاطمئنان والسلام مع النفس، وانتفاء الخوف على حياة الإنسان، أو على ما تقوم به حياته من مصالح وأسباب ووسائل وأهداف، أي ما يشمل أمن الإنسان، وأمن المجتمع.

هذه المعاني والإطلاقات يمكن إجمالها في ثلاثة معاني أصلية تتشعب توجيهاتها الفرعية حسب ما يقتضيه كل سياق وكل مناسبة، وهي:

المعنى الأول: **الأمن بمعنى الأمانة**:

ويتضح ذلك جلياً في حديث القرآن الكريم عن جانب المعاملات بين الأفراد؛ تأسيساً على فكرة أن الأمانة تورث الأمن الحقيقي: فالمؤمن الذي يؤدي الحقوق والأمانات إلى أهلها في أزمانها المعينة وأماكنها المخصصة، يعيش أمناً حقيقياً، أما الخائن الذي يعتدي على الحقوق ويخون الأمانات يعيش خوفاً حقيقياً كذلك، يخاف وقوعه بيد العدالة حيناً، ويخاف وقوعه بيد من اعتدى عليهم حيناً آخر، ويخاف وقوع الجزاء على خيانته بيد الله حيناً ثالثاً إن كان بداخله بصيص من الخير.

وفي ذلك يقول المولى سبحانه: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

فقد بين الله – تعالى – ما ينبغي عمله عند فقد الكاتب في حالة السفر لأجل

الاستيثاق من الدين، فالمعنى: وإن كنتم – أيها المتداينون – مسافرين، ولم تجدوا كاتبًا يكتب بينكم الدين، فالذي يستوثق به حينئذ، رهان يقبضها الدائنون، وتبقى عندهم حتى أداء الدين، فترد إلى المدينين، وفي التعبير بقوله: ﴿ مَقْبُوضَةٌ ﴾ دون تقبضونها، إشارة إلى الاكتفاء بقبض الوكيل(١).

ثم قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ أي فإن أمن بعض الدائنين بعض المدينين لحسن ظنه به، وثقته بأنه لا يجحد الحق ولا ينكره، فليؤدّ المدين دينه وليكن عند ظن الدائن به، وليتق الله ربه فلا يتخوّن من الأمانة شيئاً، فقد يوسوس له الشيطان بأن لا حجة عليه ولا شهيد، فالله خير الشاهدين وهو أولى أن يتقى، وسمى الدين أمانة لائتمان المدين عليه بترك الارتهان به (٢).

وقال ابن الجوزي المعنى: فإن وثق رب الدين بأمانة الغريم، فدفع ماله بغير كتاب ولا شهود، ولا رهن ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ ﴾ وهو المدين ﴿ أَمانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ أن يخون من ائتمنه(٣).

وقال الزمخشري: المعنى: فإن أمن بعض الدائنين بعض المدينين لحسن

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: ٤٩٧/١، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) – (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

(٢) ينظر: تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ): ٢٠٢/٢، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.

(٣) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): ٢٥٣/١، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

ظنه به ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَه ﴾ حث المدين على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه له، وأن يؤدّى إليه الحق الذي ائتمنه عليه(١)، وكذا ذكر أبو السعود(٢).

قال(٣) ابن العربي في «أحكامه»: " معناه: إن أسقط الكتْب، والإشهاد، والرهن، وعوَّل على أمانة المعامل، فليؤدِّ الأمانة، وليتق اللَّه ربه " .

قال الثعالبي: " وهو شرطٌ ربَطَ به وصيَّةَ الذي عليه الحق بالأداء، وهو يبين أن الإشهاد ليس بواجب إذ لو كان واجباً، لما جاز إسقاطه، ثم قال: وجملة الأمر أنَّ الإشهاد حزْم، والائتمان ثقةٌ باللَّه تعالى من الدائن، ومروءةٌ من المِدْيَان "(٤).

فقد بينت الآية الكريمة أن من محاور الأمن ومجالاته ذلك الذي ينتج عن حسن التعامل بين أفراد المجتمع المسلم من خلال الالتزام بتوجيهات الإسلام الرشيدة، واتباع أوامره الحكيمة، وبما ينعكس إيجاباً على كافة مناحي الحياة في المجتمع، وقد أطلقت الأمانة على الشيء المؤمن عليه، من إطلاق المصدر على المفعول، والمعنى: أي إن لم يخف أحدكم خيانة الآخر

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (ت ٥٣٨هـ): ٣٢٩/١، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ.

(٢) ينظر: العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ): ٢٧٢/١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٣) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٤٤/٢، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٤) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (ت ٨٧٥هـ): ٥٥١/١، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

وجحوده؛ فليعطِ المؤتمن ما اؤتمن عليه من أمانة[١].

ومن هذا المعنى أيضا قوله سبحانه: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَامَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَامَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٥].

والكلام عن أهل الكتاب، وبيان أحوالهم، فيبين الله أن أهل الكتاب لم يكونوا – في المعاملة المالية مع العرب – على خلق واحد، فمنهم أُمناء يؤَدون الحق إلى من استأمنهم عليه، ولو كان مالا كثيرًا، كعبد الله بن سلام، استودعه عربي قرشي ألفًا ومائتي أُوقية ذهبًا – حين كان ابن سلام على يهوديته – فلما طلبها القرشي، أداها إليه كاملة.

ومنهم خَوَنَةٌ يجحدون أمانات العرب التي استأمنوهم عليها – ولو كانت مالاً قليلاً – ولا يؤَدونها إلا بتكرار المواجهة والمطالبة، زاعمين: أن الله أحل لهم سلب أموال الأُميين، إذ يقولون: ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ أي ليس علينا إثم في أكل أموالهم، فلا حساب ولا عقاب من الله تعالى لهم. وهم – إذ يقولون هذا – يكذبون على الله تعالى، عن عمد وعلم بأنهم كاذبون، ومن هؤُلاء – رجل اسمه فنحاص بن عازوراءَ استودعه قرشي آخر دينارًا فجحده [٢].

فأخبر تعالى عن أهْل الكتاب أنهم قسمان في الأمانة، ومَقْصِد الآية ذم الخونة منهم، والتفنيد لرأيهم وكذِبهم على اللَّه في استحلالهم أموال العرب[٣].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٢/٣.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط: ٥٩٩/١.

(٣) ينظر: تفسير الثعالبي: ٦٢/٢.

فإن قال قائل: وما وجه إخبار الله – ﷻ – بذلك نبيَّه – ﷺ –، وقد علمتَ أنّ الناس لم يزالوا كذلك: منهم المؤدِّي أمانته والخائنُها ؟

قيل: إنما أراد – ﷻ – بإخباره المؤمنين خبرَهم – على ما بينه في كتابه بهذه الآيات – تحذيرَهم أن يأتمنوهم على أموالهم، وتخويفهم الاغترارَ بهم، لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين(١).

وقد استفيد من الآية: أن الخيانة في الأمانة من أخلاق هؤلاء، ولهذا يجب أن يتنزه عنها المؤمنون: امتثالاً للمنهج الكريم الذي أوجب الله علينا نهجه وسلوكه: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [النِّسَاءِ: ٥٨] فلا يحل لمسلم أن يخون أحدًا ولو خالفه في الدين، كما لا يصح لمسلم أيضًا: أن يتصف بالخيانة مع من خانه، ومن كان خائناً في القليل فهو في الكثير خائن بالأولى(٢).

إن هذا الترابط اللفظي بين كلمة (أمن) و(اؤتمن) في القرآن الكريم يتأكد – فضلا عما قررناه في سياق سابق من وجود علاقة مباشرة بينهما لغويا – أيضاً من التبادل في الاستعمال القرآني؛ حتى جاء ذكر الأمن بمعنى صفة الأمين(٣) انتقالا من انتفاء الخوف في المكان والنفس إلى المعنى المعنوي، أي الشخصية المأمونة التي لا يخشى أن تحدث ضرراً من سلوكها أو تصرفاتها.

---

(١) ينظر: جامع البيان للطبري (ت ٣١٠هـ): ٥١٩/٦، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٢) ينظر: التفسير الوسيط: ٥٩٩/١.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢٢/٣.

والتعبير القرآني يزخر بمثل هذه الإطلاقات لبعث الأمن والطمأنينة ابتداء في النفوس المخاطبة – على اختلافها – فيما حكى القرآن، من مثل:

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٧ – ٦٨].

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ [الشعراء: ١٠٥ – ١٠٧].

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ [النمل: ٣٩].

فـ (الأمين) في الآيات الكريمات لفظة بها كثير من الدلالات، والتي أبسطها الصدق في القول وعدم المكر والخديعة.

وفي نفس المعنى أيضاً وهو أن الأمن يأتي بمعنى الأمانة: قول الله تعالى على لسان إخوة يوسف – عليه السلام –: ﴿ قَالُوا يَاأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ [يوسف: ١١] مكية.

والآية تتحدث عن إخوة يوسف لما تواطؤا على أخذه وطرحه في البئر، كما أشار به عليهم أخوهم، جاؤوا أباهم يعقوب – عليه السلام –، فقالوا: ما بالك لا تأتمنا على يوسف، وتخافنا عليه، ونحن له ناصحون، أي نحبه، ونشفق عليه، ونريد الخير له، ونخلص له النصح؟ وهم يريدون خلاف ذلك، لحسدهم له، بعد ما علموا من رؤيا يوسف، وأدركوا حب أبيه له، لما يتوسم فيه من الخير العظيم وشمائل النبوة [(١)].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د/ وهبة الزحيلي: ٢١٨/١٢، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ.

قال أبوالسعود: ﴿ قَالُواْ يا أَبَانَا ﴾ خاطبوه بذلك تحريكاً لسلسلة النسبِ بينه وبينهم وتذكيراً لرابطة الأخوّة بينهم وبين يوسف – عليه السلام – ليتسببوا بذلك إلى استنزاله – عليه السلام – عن رأيه في حفظه منهم لمّا أحس منهم بأمارات الحسد والبغي فكأنهم قالوا ﴿ مالك ﴾ أي أيُّ شيء لك ﴿ لاَ تَأْمَنَّا ﴾ أي لا تجعلنا أمناءَ ﴿ على يُوسُفَ ﴾ مع أنك أبونا ونحن بنوك وهو أخونا[1] وهو جعله بمعنى الأمانة عندهم إلى حين رجوعه لأبيه.

ثم قالوا ﴿ وَإِنَّا لهُ لَنَاصِحونَ ﴾ (والنصح يتضمن الشفقة والإخلاص وإرادة الخير، وكان هذا التوكيد لأنهم يريدون أن ينزعوا من نفس أبيهم ما يعتقد أنهم يحسدونه، فهم يقولون: إنا نحبه ونريد الخير، ولا نبغضه)[2].

وقد يحمل السياق معنى الخوف عليه من عدم أمانتهم في حفظه، قال البيضاوي: ﴿ مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلى يُوسُفَ ﴾ لم تخافنا عليه ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَناصِحُونَ ﴾ ونحن نشفق عليه ونريد له الخير[3].

وقال الخازن: قال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير وذلك أنهم قالوا لأبيهم أرسله معنا فقال يعقوب: إني ليحزنني أن تذهبوا به فحينئذ قالوا: مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون[4].

---

(١) تفسير أبي السعود ٢٥٧/٤

(٢) زهرة التفاسير لأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ): ٣٨٠٧/٧، دار النشر: دار الفكر العربي.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت ٦٨٥هـ): ١٥٧/٣، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

(٤) لباب التأويل للخازن (ت ٧٤١هـ): ٥١٥/٢، المحقق: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.

وفي التّوراة أن يعقوب – عليه السلام – أرسله إلى إخوته وكانوا قد خرجوا يرعون، وإذا لم يكن تحريفاً فلعلّ يعقوب – عليه السلام – بعد أن امتنع من خروج يوسف –عليه السلام– معهم سمح له بذلك، أو بعد أن سمع لومهم عليه سمح له بذلك(١).

وبنوا على قولهم الذي أظهروا فيه الشفقة والحرص قولهم: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ [يوسف: ١٢] أي أرسله معنا غداً إلى البادية، يتسع في أكل ما لذَّ وطاب ويلهو ويلعب بالاستباق وغيره ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي ونحن نحفظه من كل سوء ومكروه، أكّدوا كلامهم بإنَّ واللام وهم كاذبون(٢).

وفي نفس المعنى أيضاً، قول الله تعالى على لسان يعقوب – عليه السلام –: ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤] مكية.

وذلك حينما رجع أولاد يعقوب إلى أبيهم قالوا له: إن عزيز مصر منع عنّا الكيل في المستقبل إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين، فإن لم ترسله لا نكتل، فأرسله معنا نكتل من الطعام بقدر عددنا، وإنّا له لحافظون من كلّ مكروه وسوء في الذّهاب والإياب، فلا تخف عليه، فإنه سيرجع إليك.

قال يعقوب: هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل، تغيّبونه عنّي وتحولون بيني وبينه، وقد فرّطتم في يوسف، فكيف آمنكم على أخيه؟ فإني أثق به وأتوكّل عليه وأفوض أمري إليه، هو أرحم الرّاحمين بي، وسيرحم

(١) التحرير والتنوير: ٢٢٧/١٢.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني: ٣٨/٢، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

كبري وضعفي وتعلّقي بولدي، وأرجو الله أن يرحمني بحفظه، وأن يردّه عليّ، ويجمع شملي به، إنه أرحم الرّاحمين[١].

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي لا آمنكم عليه إلا كأمني على يوسف، يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن إذ خانوه [٢].

وكأن الأمر ظاهر في معنى الأمن هنا؛ ولذا قال أبو السعود: ﴿ قَالَ هَلْ امَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ على أَخِيهِ ﴾ يوسف ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ وقد قلتم في حقه أيضاً ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا أثق بكم ولا بحفظكم وإنما أفوّض الأمر إلى الله[٣].

وقال أبو زهرة: الاستفهام هنا إنكاري لإنكار الوقوع، وهو وقوع الأمن، أي ليس أمني عليه منكم، إلا كأمني على يوسف منكم، وقد كانت نتيجة الأمن في الماضي أن جئتم تبكون، وتقولون أكله الذئب، فلستم أنتم الذين تحفظون أخاكم [٤].

المعنى الثاني: الأمن المقابل للخوف:

الأمن والخوف ضدان، إذا وُجد أحدهما ارتفع الآخر، والخوف بشكل أو بآخر غالباً مذموم، وإذا كان الإنسان يخاف من أمور يتوقع حدوثها في الدنيا كخوفه على نفسه، وعلى ولده، وعلى زوجه، وعلى صحته، ويخاف

---

(١) التفسير الوسيط: د/ وهبة الزحيلي: ٢٠/١٣، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) زاد المسير: ٤٥٣/٢.

(٣) تفسير أبي السعود: ٢٩٠/٤.

(٤) زهرة التفاسير: ٣٨٣٩/٧.

كذلك من عدوه، فهو يخاف من أمور كثيرة، فالأولى به أن يخاف أشد الخوف من الله – ﷻ –؛ لما له من القدرة والسطوة على الكون بأسره، ومنها ذلك الكائن الضعيف المسمى بالإنسان.

فلو خاف الإنسان من ربه، فانتهى عما يغضبه؛ حلت الطمأنينة في قلبه وهذا هو الأمن النفسي، وهو المعني الحقيقي للأمن، وهو المعنى العام والأساسي الذي ينصرف الذهن إليه عند الحديث عن الأمن، متحققا أولاً في النفس البشرية، وثانياً في الظروف والأحوال والأماكن التي يحيا الإنسان فيها بالتبعية.

والقرآن يعبِّر عن هذا الأمن الحقيقي في النفس الإنسانية، فنراه يأتي به تعبيراً عن الأمن الداخلي الذي يحصل من طبيعة الظرف الداعم لمثل هذا الشعور حسب ظن من توجه إليهم الخطاب، كتوافر أسبابه الظاهرة، كالجنات والعيون الزروع والنخل .. الخ، كما في قوله تعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَا هُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦ – ١٤٩].

فقد أرسل الله إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحاً، من أوسطهم نسباً وأكرمهم خلقاً، فدعاهم إلى عبادة الله وترك الأصنام(١).

قال القرطبي: وكان قوم ثمود يسكنون الحجر، وهى ذوات نخل وزروع ومياه، فقرعهم صالح – عليه السلام – ووبخهم وقال: أتظنون أنكم باقون في الدنيا بلا موت (أتتركون فيما هاهنا آمنين) يعنى في الدنيا آمنين من الموت

(١) التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي: ٧٦٥/٢، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، ط: العاشرة ١٤١٣هـ.

والعذاب، قال ابن عباس: كانوا معمرين لا يبقى البنيان مع أعمارهم، ودل على هذا قوله: ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [هود: ٦١][١].

وقال الطبري المعنى: أيترككم يا قوم ربكم في هذه الدنيا آمنين، لا تخافون شيئاً ؟[٢]

قال الماتريدي: وهذا يخرج على وجهين: أحدهما: أتتركون هذا، وإن خرج على الاستفهام فكأنه قال على الإخبار: ولا تتركون فيما ذكر آمنين.

والثاني: أتظنون أن تتركوا فيما هاهنا آمنين، أي: لا تظنوا أن تتركوا[٣].

وهذا إنكار لأن يتركوا كذلك، أو تذكير للنعمة في تخلية الله إياهم وأسباب تنعمهم آمنين كما قال البيضاوي[٤].

ثم فسر الأمان بقوله: (﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ فالجنان والأنهار والزروع والثمار، والنخيل ذات الطلع الجميل كل ذلك يوحي بالأمان والاستقرار النفسي وعدم الخوف.

وقد يأتي الأمن في سياق البشارة والاطمئنان بوعد الملك المنان، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] مدنية.

قال العلامة ابن كثير: كان رسول الله – ﷺ – قد أُرِيَ في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة، فلما ساروا عام

---

(١) تفسير القرطبي: ١٢٧/١٣.

(٢) تفسير الطبري: ٣٨٠/١٩.

(٣) تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ): ٧٧/٨، المحقق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

(٤) تفسير البيضاوي: ١٤٦/٤.

الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع ما وقع من قضية الصلح، ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل، وقع في نفوس بعض الصحابة من ذلك شيء، حتى سأل عمر بن الخطاب -ﷺ- في ذلك، فقال له فيما قال: أفلم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: "بلى، أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا" قال: لا قال: "فإنك آتيه ومطوف به" ولهذا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[1].

وممن صرح أن سبب نزول الآية كان في هذه الواقعة العلامة القرطبي قائلا: فأنزل الله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﴾ والرؤيا أحد وجوه الوحي إلى الأنبياء[2]، ووافقه الخازن[3] والسمرقندي[4] وغيرهما[5].

هذا، وقد أخرج البيهقي في الدلائل عن مجاهد قال: أري النبي - ﷺ - وهو بالحديبية أنه يدخل مكة، هو وأصحابه آمنين، محلّقين رؤوسهم ومقصرين، فلما نحر الهدي بالحديبية، قال أصحابه: أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ .. ﴾ [6].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٣٥٦/٧، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة ٢٠٠٢م.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: ٢٩٠/١٦.

(٣) ينظر: تفسير الخازن: ١٧١/٤.

(٤) ينظر: تفسير السمرقندي: ٣٢٠/٣ ط: دار الفكر.

(٥) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي (ت ٧٤١هـ): ٢٩١/٢، المحقق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ.

(٦) دلائل النبوة لأبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) المحقق: د/ عبدالمعطي قلعجي: ١٦٤/٤، باب: نزول سورة الفتح، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

وقوله تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ للتبرُّك [1].

قال البيضاوي: وقوله: ﴿ آمِنِينَ ﴾ حال من الواو والشرط معترض ﴿ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ أي محلقاً بعضكم ومقصراً آخرون ﴿ لاَ تَخَافُونَ ﴾ أي لا تخافون بعد ذلك ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ من الحكمة في تأخير ذلك ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ ﴾ من دون دخولكم المسجد أو فتح مكة ﴿ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ هو فتح خيبر ليستروح إليه قلوب المؤمنين إلى أن يتيسر الموعود[2].

قال ابن عطية: ولما نزلت هذه الآية، علم المسلمون أن تلك الرؤيا فيما يستأنفون من الزمن، واطمأنت قلوبهم بذلك وسكنت، وخرجت في العام المقبل، خرج رسول الله – ﷺ – إلى مكة في ذي القعدة سنة سبع، ودخلها ثلاثة أيام هو وأصحابه، وصدقت رؤياه – ﷺ –[3].

ومن نفس المعنى أيضاً قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩] مكية.

وهذه الآية جاءت في أواخر قصة يوسف – عليه السلام –، وبعد أن جاء البشير بالبشارة، وبعد أن اجتمع يعقوب– عليه السلام – مع أبنائه جميعاً في مصر فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ وظاهر هذا أن

---

(١) ينظر: تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ): ٦٨٣/١، الناشر: دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ١٣١/٥.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية (ت ٥٤٢هـ): ١٣٩/٥، المحقق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

يوسف كان تلقاهم خارجاً من المصر؛ فقال لهم: ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ ثم لما دخلوا المصر آوى إلى نفسه أبويه وضمهما إليه، ويشبه أن يكون قال لهم هذا القول؛ وقت ما قال لهم: ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ و ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾، ثم لما جاءوا ودخلوا مصر ضم إليه أبويه؛ وأمره إياهم أن يدخلوا مصر آمنين [1].

بينما جعلها ابن عاشور جملة دعائية بقرينة قوله: (إن شاء الله) لكونهم قد دخلوا مصر حينئذٍ[2].

والأمنُ: حالة اطمئنان النفس وراحة البال وانتفاء الخوف من كل ما يخاف منه، وهو يجمع جميع الأحوال الصالحة للإنسان من الصحة والرزق ونحو ذلك[3]، وقال القاسمي: ﴿ آمِنِينَ ﴾ أي من القحط وأصناف المكاره[4].

أو يأتي الأمن من الارتياح النفسي الذي يبعثه الله في قلوب المصطفين من عباده، كوضعية موسى – عليه السلام – في آية القصص: ﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾ [القصص: ٣١].

والسياق الكريم في قصة موسى – عليه السلام – وهو في طريقه إلى مصر، وبعد أن قضى الأجل الذي تعاقد عليه مع صهره الشيخ الكبير، وسار بزوجته

---

(١) تفسير الماتريدي: ٢٨٨/٦.

(٢) التحرير والتنوير ٥٥/١٣

(٣) النكت والعيون للماوردي (ت ٤٥٠هـ): ٨١/٣، المحقق: السيد بن عبد المقصود ابن عبد الرحيم: ٨١/٣، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٤) محاسن التأويل للقاسمي (ت ١٣٣٢هـ): ٢٢٠/٦، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

فإنه أبصر من بعيد عند جبل الطور: (﴿ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا ﴾ هنا ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ عن الطريق وكان قد أخطأَها ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ ﴾ قطعة وشُعْلة ﴿ مِنْ النَّار لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ تسْتَدْفِئُون ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ ﴾ جانب ﴿ الْوَادِ الْأَيْمَنِ ﴾ لموسى ﴿ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ ﴾ لموسى لِسَمَاعه كلام اللَّه فيها ﴿ مِنْ الشَّجَرَةِ ﴾ بدل من شاطىء ﴿ أَنْ ﴾ مفسِّرة لا مخففة ﴿ يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاك ﴾ فألقاها ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزّ ﴾ تتحرك ﴿ كَأَنَّهَا جَانّ ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا ﴾ هاربًا منها ﴿ وَلَمْ يعقب ﴾ أي يرجع فنودي ﴿ يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ﴾ [1].

قال الماتريدي: وقوله تعالى: (وَلَا تَخَفْ) يحتمل وجوهًا: أحدها: على رفع الخوف من قلبه، والثاني: على البشارة أنه لا يؤذيه، والثالث: على النهي، أي: لا تخف؛ فإني أحفظك وأدفع أذاه عنك[2].

ثم أكد له الأمر لما الآدميُّ مجبول عليه من النفرة وإن اعتقد صحة الخبر بقوله تعالى: ﴿ إنك من الآمنين ﴾ أي: العريقين في الأمن كعادة إخوانك من المرسلين فإنه لا يخاف لديّ المرسلون [3].

وقال القرطبي: (إنك من الآمنين) أي مما تحاذر[4]، وقال النسفي: أي

---

(١) تفسير الجلالين: ٥١٢/١.

(٢) تفسير الماتريدي: ١٦٦/٨.

(٣) تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ): ٩٧/٣، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) القاهرة ١٢٨٥هـ.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٨٣/١٣.

أمنت من أن ينالك مكروه من الحية[١]، وقال البيضاوي: من المخاوف، فإنه لا يخافُ لديَّ الْمرسلون[٢].

فإن قوله: ﴿ أَقْبِلْ ﴾ يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله، وهو لم يزل في الأمر المخوف، فقال: ﴿ وَلا تَخَفْ ﴾ أمر له بشيئين، إقباله، وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال، وهو أنه قد يقبل وهو غير خائف، ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فقال: ﴿ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾ فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه[٣].

وقد يأتي الأمن في سياق التحذير من إذاعة الأخبار والإشاعات الغير الصحيحة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأمن أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٨٣] أي سواء في حالة (الأمن) وهو: الفتح والغنيمة (أو الخوف) القتل والهزيمة أشاعوه وأفشوه[٤].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المعروف بتفسير النسفي لأبي البركات عبد الله ابن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي: ٦٤١/٢، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٢) تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١٧٧/٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ت ١٣٧٦هـ): ١/ ٦١٥، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

(٤) ينظر: تفسير البغوي: ٢٥٥/٢، بتحقيق: محمد عبد الله العمر وآخرون، دار طيبة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

وفي هذه الآية الكريمة إنكار على من يسارع إلى الأمور قبل أن يتحقق من وقوعها فينشرها ويفشيها؛ لأن الأخبار التي تأتي إليه قد لا تكون صحيحة، فليس كل ما يسمعه المرء قد حدث، روى الإمام مسلم عن عمر ابن الخطاب قال: لما اعتزل النبي – ﷺ – نساءه، دخلت المسجد، فإذا الناس يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى يَقُولُونَ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – نِسَاءَهُ فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِى لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – نِسَاءَهُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الأَمْرَ [(١)].

قال ابن جرير الطبري: إن هذه الآية نزلت في الطائفة التي كانت تبيّت غير ما يقول لها الرسول أو تقول له[(٢)].

وذكر السيوطي: نزلت الآية في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك، فتضعف قلوب المؤمنين، ويتأذى النبي – ﷺ –[(٣)].

قال الزحيلي: والظاهر لدي ما يقوله السيوطي، فإن إشاعة الأخبار وترويج الإشاعات إما أن تكون من المنافقين أعداء الأمة بقصد سيء، وإما أن تكون من ضعاف الإيمان وعوام الناس الجهلة بقصد حسن، وربما كان موقف عمر – ﷺ – أحد أسباب النزول[(٤)].

---

(١) الجامع الصحيح للإمام مسلم، كتاب: الطلاق، باب: فِي الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن: ١٨٨/٤، الناشر: دار الجيل، بيروت + دار الأفاق الجديدة، بيروت.

(٢) ينظر: تفسير الطبري: ٥٦٨/٨.

(٣) تفسير الجلالين: ١١٥/١.

(٤) ينظر: تفسير الزحيلي: ١٧٥/٥.

قال الزمخشري: هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال، ولا استبطان للأمور، كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله -ﷺ- من أمن وسلامة، أو خوف وخلل، أذاعوا به، وكانت إذاعتهم مفسدة(١).

المعنى الثالث: الأمن بمعنى المكان الآمن:

حيث يأتي معنى الأمن بمعنى المكان المأمون على صيغة اسم المكان، فـ (المأمن) هو المكان الذي يأمن فيه الإنسان، على نحو ما يفهم من قوله - ﷻ -: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة: ٦].

وهذه الآية الكريمة واقعة في سورة براءة، وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم في كيفية المعاملة من الكفار بجميع أجناسهم وأنواعهم وطوائفهم، وهنا أمر خاص في إجارة المستجير من المشركين، وفيها كما يقول ابن كثير: يقول تعالى لنبيه - ﷺ -: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين أمرتك بقتالهم، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم، ﴿ اسْتَجَارَكَ ﴾ أي: استأمنك، فأجبه إلى طلبته ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ أي: القرآن تقرؤه عليه، وتذكر له شيئًا من أمر الدين تقيم عليه به حجة الله، ﴿ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ أي: وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عباده.

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب، فطلب

(١) الكشاف: ٥٧٢/١.

من الإمام أو نائبه أمانًا، أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى مأمنه ووطنه، لكن قال العلماء: لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر(١).

وقال ابن الجوزي: قال المفسرون: وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما أُمر به ونُهي عنه، فأَجِرْه، ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه(٢).

وأحياناً تأتي كلمة الأمن وصفاً صريحاً لمكان معين على التعيين، ومنه كلّ الآيات التي تصف البيت الحرام ومكة المكرمة بلفظة الأمن، على معنى انتفاء الخوف عن الداخل فيهما والمقيم بهما، فيأتي اختصاص الصفة حينئذ لخصوصية ذلك المكان الموصوف؛ بحسبان أن للمكان طبيعته وقدسيته الخاصة، وذلك سر جعله الله في ذلك المكان تفضلا منه – ﷻ –، كما في قوله: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [البقرة: ١٢٥] مدنية.

وقال تعالى بعدها مباشرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلى عَذابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦].

فقد رغّب القرآن الكريم قبيلة قريش وغيرها من أهل الكتاب بالإيمان برسالة النّبي – ﷺ –، وزجرهم عن الكفر والعصيان، ببيان فضائل البيت

(١) تفسير ابن كثير: ١١٣/٤.

(٢) زاد المسير: ٢٣٧/٢.

الحرام حيث جعله الله مثابة للناس، قال الرازي: أما قوله تعالى: ﴿ وَأَمْناً ﴾ أي موضع أمن، ثم لا شك أن قوله: ﴿ جَعَلْنَا البيت مَثَابَةً لّلنَّاسِ وَأَمْناً ﴾ خبر، فتارة نتركه على ظاهره ونقول أنه خبر، وتارة نصرفه عن ظاهره ونقول أنه أمر [١].

فذكر الرازي أن الأمن الوارد في الآية الكريمة له معنيان، الأول بمعنى الخبر، والثاني بمعنى الأمر، وكلاهما وارد.

بينما جعله الخازن بمعنى الخبر فقال: (وَأَمْناً) أي موضعا ذا أمن يؤمنون فيه من أذى المشركين، فإنهم كانوا لا يتعرضون لأهل مكة، ويقولون: هم أهل الله، وقال ابن عباس: معاذا وملجأ [٢].

فإن قلت: قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة؟ قلت: لم يكن قصده بذلك مكة ولا أهلها ولا إخراب الكعبة، وإنما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة، ولم يتمكن من ذلك إلا بذلك، فلما حصل قصده أعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها وأحسن إلى أهلها [٣].

قال أبو جعفر كذلك: "آمنا": آمنا من الجبابرة وغيرهم، أن يسلطوا عليه، ومن عقوبة الله أن تناله، كما تنال سائر البلدان، من خسف، وائتفاك، وغرق، وغير ذلك من سخط الله ومثلاته التي تصيب سائر البلاد غيره[٤].

وجمع بينهما ابن عطية قائلا: قوله تعالى (وأَمْناً) معناه أن الناس

---

(١) تفسير الرازي: ٢٨٩/٣٢.
(٢) ينظر: تفسير الخازن: ٧٧/١.
(٣) تفسير الخازن: ٧٩/١.
(٤) تفسير الطبري: ٤٤/٢.

يغيرون ويقتتلون حول مكة وهي آمنة من ذلك، يلقى الرجل بها قاتل أبيه فلا يهيجه، لأن الله تعالى جعل لها في النفوس حرمة، وجعلها أمنا للناس والطير والوحوش، قال القاضي أبو محمد: فهذا أمر لأمة محمد – ﷺ –[1].

وبعد أن بني خليل الله بيت الله تعالى، اتجه متضرعاً إليه، أن يجعل ما حول البيت آمنا، وقد أقام أهله في مكان جدب؛ ولذا دعا ربه أن يرزقهم من الثمرات، فقال تعالى حاكيا دعاءه: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ وفي هذا دعاء إلى أن يكون ما حول البيت بلدا آمنا، وأن يرزقه من الثمرات، وهذا يشير إلى أنه عند بناء البيت لم يكن البلد قد تكوّن، ولكن آية أخرى تشير أن هنا بلدا متكونًا؛ ولذلك ذكر بالتعريف، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال ابن عاشور: و(البلد) بدل من اسم الإشارة، وحكاية دعائه بدون بيان البلد إبهام يرد بعده البيان بقوله: ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، أو هو حَوالة على ما في علم العرب من أنه مكة، والتعريف هنا للعهد، والتنكير في آية البقرة تنكير النوعية، فهنا دعا للبلد بأن يكون آمنا، وفي آية سورة البقرة دَعَا لِمشار إليه أن يجعله الله من نوع البلاد الآمنة، فمآل المفادين متحد[2].

وقد قال بعض المفسرين إن الدعوة قد تكررت، فالدعوة الأولى كانت ولم يكن البلد، ولذلك كانت الدعوة بتكوين البلد وجعله آمنا، كما في قوله تعالى:

---

(١) تفسير ابن عطية: ٢٠٧/١.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٢٣٧/١٣.

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، وإنه عند تمام البيت استجاب الله تعالى لنبيه، فأخذ الناس يأوون إليه يبنون ويقيمون الخيام، وإن البلد ينشأ بعد بضع سنين فلما نشأ، وإبراهيم ذو ضراعة، وأوّاه حليم دعا فقال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ وخشي من الكثرة النسبية في البلد الذي وجد أن يكون فيهم عبدة الأوثان فضمن دعاءه قوله: ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾، وإن كثيرين يرون أن طلب إبراهيم لم يكن إنشاء بلد آمن، بل كان طلبه فقط أن يكون آمنا، فالطلب من إبراهيم – عليه السلام – كان منصباً على الأمن، والإشارة إلى المكان، فالمعنى اجعل هذا بلداً موصوفاً بالأمن، ويكون المطلوب الأمن، كما تقول مشيراً إلى ابنك اجعل هذا ابناً باراً، ويكون المراد وصفه بالبر، وقد أجاب الله سبحانه تضرعه، فجعله بيتا آمنا، ويتخطف الناس من حولهم(١).

وقد جاء هذا المعنى أيضا في خصائص البيت الحرام، وذلك في قول الله تعالى: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧] مدنية.

ذكر القرطبي عن مجاهد قوله: تفاخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة؛ لأنه مهاجر الأنبياء في الأرض المقدسة، وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية:

(١) زهرة التفاسير: ١/٤٠٠.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ... ﴾ الآية[١].

هذا، وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري – ﷺ – قال: " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ» " [٢].

وهي كما ذكر البيضاوي: جملة ابتدائية، أو شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لأنه في معنى أمن من دخله أي ومنها أمن من دخله، أو فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله، اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما [٣].

قال السمرقندي: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ ﴾ يعني الحرم كان آمناً يعني أن من دخل فيه، فإنه لا يهاج منه إذا وجب عليه القتل خارج الحرم[٤].

وزاد الخازن: وقيل هو خبر بمعنى الأمر تقديره ومن دخله فأمنوه، وقيل في معنى الآية ومن دخله متقرباً بذلك إلى الله تعالى كان آمنا من العذاب يوم القيامة، وقيل ومن دخله كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك [٥].

ولذا امتن الله على أهل مكة بأنه جعل البيت آمنا فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ

(١) ينظر: تفسير القرطبي: ١٣٦/٤.
(٢) صحيح مسلم، كتاب: المساجد، من غير ذكر اسم الباب: ٦٣/٢.
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي: ٢٩/٢.
(٤) ينظر: تفسير السمرقندي: ٢٣٢/١.
(٥) ينظر: تفسير الخازن: ٢٧٢/١.

وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [العنكبوت ٦٧].

قال ابن كثير: يقول تعالى ممتنا على قريش فيما أحلهم من حرمه، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي، ومن دخله كان آمنا، فهم في أمن عظيم، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا(١).

قال الواحدي: ذا أمنٍ لا يُغار على أهله (٢)، وقال غيره: عبارة عما يصيب غير أهل مكة من القتال أو أخذ الأموال(٣)

فالمعنى جعلنا بلدهم حرماً يأمن داخله؛ في حين أن الناس تتخطف من حولهم بالقتل، والسلب، والسبي (٤)

فقد جعل الله – ﷻ – " الأمن " من خصائص بيته المحرم الذي له من المنزلة والفضل والمكانة ما ليس لغيره، وقد قال بعض مشركي قريش في تعللهم عن عدم إيمانهم برسالة النّبي محمد – ﷺ – واعتذارهم عنه: بأنهم إن اتّبعوا ما جاءهم به من النور والهدى، ويخالفوا ما عليه بقية العرب، يخافوا أن يقصدوهم بالأذى والمحاربة: ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ [القصص: ٥٧].

(قال ابن عباس: قائل ذلك من قريش: الحارث ابن عثمان بن نوفل ابن عبد مناف القرشيّ، قال للنبي – ﷺ –: إنا لنعلم أن قولك حق، ولكن

---

(١) أوضح التفاسير: ٤٩٠/١.

(٢) الوجيز للواحدي: ٨٣٦/١.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٢٩/٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٦.

يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافةَ أن يتخطَّفنا العرب من أرضنا – يعني مكة – لاجتماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم)[1].

وقد رد الله عليهم، ودحض مزاعمهم هذه بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ .

أي: أولم نُسْكِنْهم حرَماً ونجعله مكاناً لهم، ومعنى آمِناً: ذو أمن يأمن فيه الناس، وذلك أن العرب كانت يُغِير بعضُها على بعض، وأهل مكة آمنون في الحرم من القتل والسَّبي والغارة، أي: فكيف يخافون إذا أسلموا وهم في حرم آمن ؟![2].

(١) تفسير القرطبي: ١٣/٣٠٠.

(٢) زاد المسير في علم التفسير: ٣/٣٨٩.

المبحث الثالث

أسباب وجود الأمن

هناك سببان أساسيان في حدوث الأمن داخل الإنسان أولهما الإيمان بالله – تعالى – مصدر الوجود، وما يتبعه من العمل فلابد أن يرجع الفرع إلى أصله، فبدون الإيمان لا أمان، والسبب الثاني الجهاد في سبيل الله، فهومن أفضل القربات، ومن أعظم الطاعات، وإن كان داخلاً في العمل لما له مكانته الخاصة في الإسلام، وليس الكل يقوم به، فاهتماماً به جعل كأنه أمر منفرد، فهؤلاء الذين باعوا أنفسهم لله – سبحانه – لا أقل من أن يذهب عنهم الهم والغم والخوف والحزن، ويحل الأمن والأمان والسكينة.

السبب الأول: الإيمان باللّه تعالى والعمل الصالح:

قلنا إن أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والإيمان هو التصديق الذي معه أمن، فلا يتصور أن يكون هناك مؤمن وليس عنده أمن، أي استقرار وسكينة واطمئنان، فلا اضطراب ولا قلق ولا حيرة، لأنه مطمئن إلى ما قدره ربه تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤].

لذا قد يأتي الأمن وصفاً شاملاً مقصوراً على فئة معينة اتصفت بصفات مخصوصة، خلص لها السبب فتحقق لها المطلوب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١ : ٨٢]، والمعنى: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة، ولم يخلطوا عبادتهم إياه

وتصديقهم له أحق بالأمن من عقابه[١].

والمحاجة التي أقامها قوم إبراهيم بينهم وبينه – عليه السلام – كانت محاجة بين اثنتين أحدهما اعتمد على الهداية والعقل، والثاني اعتمد على الخرافة والوهم، ولقد قال تعالى: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [٢].

وبعد أن أبان لهم– عليه السلام – أنه لا يخاف شركاءهم بل يخاف الله وحده، وقد تعجب من تخويفهم إياه ما لا يخيف، وعدم خوفهم مما يجب أن يخاف منه قال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ﴾ أي معبوداتكم وهي مأمونة الخوف ﴿ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ ﴾ بإشراكه ﴿ عَلَيْكُمْ سلطانا ﴾ حجة إذ الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة، والمعنى ولما تنكرون عليّ الأمن في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف[٣].

وقد رتب الله تعالى على هذه الحال أن قال تعالى: ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَق بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، قال ابن كثير : أي: فأي الطائفتين أصوب؟ الذي عَبَد من بيده الضر والنفع، أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل، أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة؟ قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم

(١) ينظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/١١.
(٢) زهرة التفاسير: ٢٥٦٥/٥.
(٣) ينظر: تفسير النسفي: ٥١٨/١.

القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة [١].

روى البخاري: بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ – ﷺ –، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – : " لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: ﴿ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " ﴾ [لقمان: ١٣] [٢].

قال أبو زهرة : وكان الشرك ظلماً، لأنه تجاوز الحد المعقول، إذا كان الظلم تجاوز الحد، فالشرك أشد الأمور تجاوزاً للحد [٣].

وقد يأتي الأمن في سياق التبديل والتحويل من حالة إلى أخرى، كثمرة لتطبيق الإسلام منهجا للحياة كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

بمعنى: وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٣.

(٢) جامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه لأبي عبد الله البخاري، كتاب: استِتَابَةِ المُرتَدِّين والمعاندين وقتاهم، باب: ما جاء في المتأولين: ١٨/٩، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٣) زهرة التفاسير: ٢٥٦٦/٥.

(٤) ينظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/١٩.

قال ابن كثير: في هذه الآية الكريمة وعد من الله لرسوله – ﷺ –، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمةَ الناس والولاةَ عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، ولَيُبدلَنّ بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم(١).

وفي إضافة الدين إليهم، في قوله: ﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ وهو دين الإسلام، ثم وصفه بارتضائه لهم، تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه، وفضل تثبيت عليه (٢).

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ﴾؛ لأنهم كانوا مظلومين مقهورين، ﴿ يَعْبُدُونَنِي ﴾ هذا استئناف كلام في الثناء عليهم، ﴿ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ ﴾ بهذه النِّعم، أي: من جحد حقَّها، قال المفسرون: وأوّلُ من كفر بهذه النّعم قتله عثمان(٣).

قال(٤) البغوي: قال أبو العالية في هذه الآية: مكث النبي – ﷺ – بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه، وأمروا بالصبر على أذى الكفار، وكانوا يُصْبحون ويُمْسون خائفين، ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة، وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه، فقال رجل منهم: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح ؟ فأنزل الله هذه الآية (٥).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٧٧/٦

(٢) إرشاد العقل السليم: ١٩١/٦.

(٣) زاد المسير: ٣٠٤/٣.

(٤) تفسير البغوي: ٥٧/٦.

(٥) أخرجه الطبري: ١٥٩/١٨ – ١٦٠، وعزاه السيوطي في: الدر المنثور لعبد ابن حميد وابن أبي حاتم: (٢١٥/٦) الناشر: دار الفكر – بيروت، وانظر: أسباب النزول للواحدي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: كمال بسيوني زغلول: ٣٣٨/١، الناشر: =

وفي هذه الآية من الدلالة على صحة النبوة للإخبار بالغيب، فقد أنجز الله وعده، وأظهرهم على جزيرة العرب، وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب، ومزقوا ملك الأكاسرة، وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا، وصاروا إلى حال يخافهم كل من عداهم(١).

السبب الثاني: الجهاد في سبيل الله، والإعداد له،والثبات عند لقاء العدو:

الجهاد في سبيل الله تعالى من أجل إعلاء كلمته – سبحانه – وهيمنة شريعته الغراء على الكون بأسره هو الغاية من بعثة الحبيب محمد – ﷺ – قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال أيضا: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

فيأتي الأمن في سياق الحديث عن قيمة الجهاد، ملتبساً بظرف الخوف نتيجة لما قبله من أسباب، وعلل مقصودة؛ لتحقيق أمر معين كما في قوله تعالى في غزوة بدر: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١](٢).

= دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ، وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي (ت ١٤٢٢هـ): ١/١٥١، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

(١) تفسير القاسمي: ٧/٤٠٣.

(٢) ينظر: سر الإعجاز في تنوع الصيغ الصرفية المشتقة من أصل لغوي واحد في = =

ففي هذه الآية الكريمة يذكرهم الله بما أنعم به عليهم يوم بدر من إلقائه النعاس عليهم، أماناً من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم[١].

ومعنى ﴿ يُغَشِّيكُمُ ﴾ يغطيكم به ويفرغه عليكم، وهذه استعارة، والنُّعاس أخف النوم وهو الذي قد يصيب الإنسان وهو واقف أو ماش، وينص على ذلك قصص هذه الآية أنهم إنما كان بهم خفق في الرؤوس[٢].

والضمير لله – ﷻ –، و «أمنةً» منصوب: مفعول له، كقولك: فعلت ذلك حذر الشر، يقال: أمنتُ آمَنُ أمْناً وأماناً وأمَنَةً [٣]

قال الزمخشري: فإن قلت: أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحداً؟ قلت: بلى، ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس، تنعسون، انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم، والمعنى: إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا، أى لأمنكم، و(مِنْهُ) صفة لها: أى أمنة حاصلة لكم من الله – ﷻ – [٤].

قال المراغي: إنه – تعالى – ألقى عليهم النعاس حتى غشيهم غلب عليهم تأميناً لهم من الخوف الذي كان يساورهم من الفرق الشاسع بينهم وبين عدوهم فى العدد والعدّة ونحو ذلك، إذ من غلب عليه النعاس لا يشعر بالخوف،

القران، عودة منيع القيسي، ص ١٩٩، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٦م.

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: ٢٣/٤.

(٢) تفسير ابن عطية: ٥٠٥/٢.

(٣) تفسير ابن الجوزي: ١٩٢/٢.

(٤) تفسير الكشاف: ٢٠٢/٢.

كما أن الخائف لا ينام ولكن قد ينعس إذ تفتر منه الحواس والأعصاب.

روى البيهقي[1] فى الدلائل عن على – كرم الله وجهه – قال: «ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله – ﷺ – يصلى تحت شجرة حتى أصبح» والمتبادر من الآية أن النعاس كان فى أثناء القتال، وهو يمنع الخوف، لأنه ضرب من الذهول والغفلة عن الخطر[2].

وزادهم المولى طمأنينة وثباتاً فقال سبحانه: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ﴾ من الأحداث والجنابة: ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ ﴾ وسوستَه، ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ باليقين والصبر ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ حتى لا تَسُوخَ فِي الرَّمل، وقيل يثبت به الأقدام بالصبر وقوة القلب[3].

ويأتي الأمن أيضاً في سياق التفضل منه – سبحانه – في ظرف خاص ولغاية محددة، أماناً من الخوف الحاصل نتيجة كثرة عَدُوِّهم وقلة عَدَدهم، ففعل – تعالى – بهم يوم أُحُد، كما فعل يوم بدر، قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ

---

(١) أخرجه أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة، باب: ذكر أصحاب رسول الله الذين خرجوا معه إلى بدر: ٣/٣٩، المحقق: د/ عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٢) تفسير المراغي: ٩/١٧٤.

(٣) تفسير البغوي: ٣/٣٣٤.

الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، أي: أنزل على المؤمنين أماناً بعد الخوف الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عَددهم وعُدده، وإنما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام [١].

قال الطبري المعنى: ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أثابكم ربكم بعد غم تقدمه قبله أمنة، وهي الأمان على أهل الاخلاص، منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك [٢].

روى الحاكم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال: " رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ، وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ يَمِيدُ تَحْتَ حَجَفَتِهِ مِنَ النُّعَاسِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ – ﷻ –: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا ... ﴾ الْآيَةُ [آل عمران: ١٥٤] [٣].

وقال الكلبي: إذا أَمِنَ القوم نعسوا، وقال الضحاك: النعاس عند القتال أمنة من الله تعالى، ويقال: الذي يصيبه الغم والهزيمة لا يكون له شيء

(١) ينظر: تفسير القرطبي: ٢٤٢/٢، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

(٢) تفسير جامع البيان: ٢٤٤/٢٨.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا: ٣٢٥/٢، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

أحسن من النعاس، فيذهب عنه همه، فأصاب القومَ النعاسُ فذهب عنهم الغم وأمنوا[١].

وقد روى البخاري عن أبي طلحة قال: «كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ»[٢].

وقوله تعالى: ﴿ يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ ﴾ هم المؤمنون المخلصون، غشيهم النعاس تأمينا لهم ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ هم المنافقون كانوا خائفين من أن يرجع إليهم أبو سفيان، والمشركون ﴿ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ معناه يظنون أن الإسلام ليس بحق، وأن الله لا ينصرهم[٣]، ثم ذكر تعالى ما قالوه من كلمات الخوف والخذلان، ورد عليهم بالمنطق والبرهان، فكل إنسان له أجل محتوم وموعد معلوم سيأتي، ولو كان في قصر مشيد.

فالأمن يأتي بشروط محددة تفضلاً من الله – تعالى – على كل حال، ويأتي بسبب الإيمان والعمل الصالح، والجهاد في سبيل الله حتى تسيطر شريعته الغراء؛فيأمن الناس في عالم الضمير أولاً، وفي الواقع المشاهد المحسوس ثانياً.

---

(١) تفسير السمرقندي: ٢٥٧/١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد: ١٤٩٣/٤.

(٣) الكتاب: التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ): ١٦٧/١، المحقق: د/ عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ .

المبحث الرابع

ثمرات الأمن في الدنيا، وعاقبة فقدانه

ولا بد لنا ونحن نتناول ثمرات الأمن في القرآن الكريم، أن نتحدث عن الأمن بمفهومه الشامل الذي يحتاج إليه الفرد والمجتمع، وعن أمن غير المسلمين في المجتمع المسلم، وأن نشير إلى أظهر الأسباب التي تخل بالأمن في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

فالأمن معنى شامل في حياة الإنسان، ولا يتوفر الأمن للإنسان بمجرد ضمان أمنه على حياته فحسب، فهو كذلك يحتاج إلى الأمن على عقيدته التي يؤمن بها، وعلى هويته الفكرية والثقافية، وعلى موارد حياته المادية كذلك [1].

والشعوب والدول، تحتاج – فضلاً عن الحفاظ على أمنها الخارجي – إلى ضمان أمنها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ودون أن يتحقق لها ذلك، لا تتمكن من النهوض والتطلع إلى المستقبل، بل يظل الخوف مُهيمناً على خطواتها، ومقيداً لتطلعاتها.

ولذلك؛ فإن تكامل عناصر الأمن في مجتمع معين، هو البداية الحقيقية للمستقبل الأفضل، وتوفر عناصر الأمن الديني والاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وبقاؤه في المجتمع، ضمان له لاستعادة أمنه الخارجي، حتى لو فقده في بعض الأحيان فقدانا مؤقتا.

ويمثل التزام الإسلام، عقيدة وشريعة وقيماً وأصولاً اجتماعية، أهم

(١) ينظر: الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام لعبدالله بن عبدالمحسن بن عبدالرحمن التركي: ٩/١، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.

عناصر الأمن في المجتمعات الإسلامية[1]؛ لذا فإن أثر تطبيق الشريعة الإسلامية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، هو الأساس في وجود الأمن، ففي ظل الشريعة الحكيمة يأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وبدونها يحل الخوف والفزع وينزل العذاب .

قال الله تعالى في شأن قوم سبأ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨] مكية.

والآية التي معنا هنا واردة في قصة قوم سبأ، والتي تسمى باسمهم السورة الكريمة، وتحكي لنا ما كان من أمرهم، وكيف أن الله – تعالى – أغدق عليهم النعم، من بساتين وجنات ونعيم، وقد دعاهم لشكره على هذه النعم، ولكنهم كفروا بها، ولم يقابلوها بشكر المنعم، وأعرضوا؛ فجزاهم على صنيعهم هذا، فقال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٦: ١٧].

ثم قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾.

قال ابن عطية: هذه الآية وما بعدها وصف حالهم قبل مجيء السيل، وهي أن الله تعالى مع ما كان منحهم من الجنتين والنعمة الخاصة بهم، كان قد أصلح لهم البلاد المتصلة بهم وعمرها وجعلهم أربابها، وقدر فيها السير بأن قرب القرى بعضها من بعض حتى كان المسافر من مأرب إلى الشام

(١) ينظر: الأمن في حياة الناس: ١/١٠.

يبيت في قرية، ويقيل في قرية أخرى، فلا يحتاج إلى حمل زاد[١].

قال ابن كثير: قوله تعالى: ﴿ وَقَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ ﴾ أي جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ﴿ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾ أَيِ الْأَمنُ حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهارًا [٢].

فقوله جل شأنه: ﴿ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّاماً آمِنِينَ ﴾ من الخوف والفزع، والجوع والعطش[٣].

ومن ذلك أيضاً ما ورد في قصة ثمود الذين يُعْتقد أنهم سكنوا منطقة الحجر (مدائن صالح) وقد اشتهروا بولعهم بالنحت في الجبال من أجل صناعة البيوت، كما اشتهرت منطقتهم الواقعة على طريق التجارة بوفرة المياه وخصوبة التربة والحماية الطبيعية المتمثلة في الجبال الهائلة، وبالتالي ضمنت لهم هذه البيئة الطبيعية نوعاً من الاستقرار السكني منذ قديم الزمان.

ولكن القوم أخذتهم العزة والفخر بما حققوه من حضارة فارهة، كما أصابهم الغرور بقوتهم، فكفروا بأنعم الله، وكذّبوا رسالة صالح، وأنكروا القيامة والحشر[٤].

وقد قال الله تعالى في شأنهم: ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٢].

---

(١) تفسير ابن عطية: ٤/٤١٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٤٤٩.

(٣) أوضح التفاسير: ١/٥٢٣.

(٤) التفسير الواضح: ٢/٢٩٠ بتصرف يسير.

قال القرطبي: النحت في كلام العرب: البرى والنجر، نحته ينحته (بالكسر) نحتا أي براه، والنحاتة البراية، والمنحت ما ينحت به، فكانوا يتخذون من الجبال بيوتا لانفسهم بشدة قوتهم (آمنين) أي من أن تسقط عليهم أو تخرب، وقيل: آمنين من الموت، وقيل: من العذاب[١]، وكذا ذكر الطبري[٢].

وقال البيضاوي: (آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الأعداء لوثاقتها، أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه[٣].

والمقصود بالأمن هنا معنى زائدا على ما تقدم، وهو عدم الحاجة والضرورة لفعلهم هذا، يقول ابن كثير: " أي نحتوا بيوتاً من الجبال من غير خوف ولا احتياج إليها، بل أشراً وبطراً وعبثاً "[٤] فتكون الطمأنينة المحضة والراحة الخالصة دفعتهم للهو واللعب والعبث بنحت هذه الجبال على أشكال مختلفة كالفنانين التشكيليين، ولا حرج في ذلك ماداموا شاكرين لهذه النعم، ولكنهم كفروا وعصوا رسولهم فكان عاقبة أمرهم خسرا، فدمرهم الله تعالى فقال في شأنهم: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴾ [الحجر: ٨٣] أي: في وقت الصبح، وهو نصب على الحال ﴿ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الحجر: ٨٤] من الأموال والحصون في الجبال، ولا ما أعطوه من القوة) [١].

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢١٦/٣.
(٢) تفسير الطبري: ١٢٦/١٧ وما بعدها.
(٣) تفسير القرطبي: ٥٣/١٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٦٧/٤.
(١) تفسير البيضاوي: ٢١٦/٣.

ومن ذلك المعنى أيضاً ما كان عليه أهل مكة، فقد كانوا في رغد من العيش، يقول الله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٣ – ٤].

قال ابن عاشور: سميت هذه السورة في عهد السلف: سورة لإيلاف قريش، وسميت في المصاحف وكتب التفسير (سورة قريش) لوقوع اسم قريش فيها ولم يقع في غيرها، والسورة مكية عند جماهير العلماء، وقال[١] ابن عطية: بلا خلاف، نزلت بعد سورة التين وقبل سورة القارعة [٢].

والمعنى: فلتعبد قريش ربها شكراً له على أن جعلهم قوماً تجار ذوى أسفار فى بلاد غير ذات زرع ولا ضرع، لهم رحلتان رحلة إلى اليمن شتاء لجلب الأعطار التي تأتى من بلاد الهند والخليج الفارسي، ورحلة فى الصيف إلى بلاد الشام لجلب الحاصلات الزراعية إلى بلادهم المحرومة منها.

وقد كان العرب يحترمونهم فى أسفارهم، لأنهم جيران بيت الله وسكان حرمه، فيذهبون آمنين، ويعودون سالمين، لا يمسهم أحد بسوء على كثرة ما كان بين العرب من السلب والنهب والغارات التي لا تنقطع.

فكان احترام البيت ضرباً من القوة المعنوية التي تحتمى بها قريش فى الأسفار، ولهذا ألفتها نفوسهم، وتعلقت بالرحيل، استدراراً للرزق، وهذا الإجلال الذي ملك نفوس العرب من البيت الحرام [١].

قال الرازي: لِم لَم يقل: عن جوع وعن خوف؟ قلنا: لأن معنى (عن) أنه

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٥٢٥.

(٢) التحرير والتنوير: ٣٠/٥٥٣.

(١) تفسير المراغي: ٣٠/٢٤٥.

جعل الجوع بعيداً عنهم، وهذا يقتضي أن يكون ذلك التبعيد مسبوقاً بمقاساة الجوع زماناً، ثم يصرفه عنه، و(من) لا تقتضي ذلك، بل معناه أنهم عندما يجوعون يطعمون، وحينما يخافون يؤمنون [1].

هذا، ومن غير الأمن – بالمعنى الشامل الذي بيناه آنفا – يصير الإنسان في قلق واضطراب وخوف وحيرة دائمة لا تنفك عنه داخلياً وخارجياً، وحينئذ يفقد الإنسان إنسانيته أول ما يفقد، وحينئذ فقط تصبح الحياة بلا معنى، ويصير الموت أفضل من الحياة.

ويمكن أن نتوقف في هذا المعنى أمام بعض الأمثال القرآنية حين تتحدث عن سلب نعمة الأمان ويكون التبديل والتغيير – حينئذ – نتيجة طبيعية لافتقاد السبب وهو الإيمان، وذلك حين تأتي كلمة الأمن صفة لمكان غير مخصوص في سياق المثل، كثمرة من ثمرات الإيمان: كما في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، لكن هاهنا الإشارة إلى أن كفران النعمة يسلب نعمة الأمن، فالله – ﷻ – يعطي الأمن، لكن عندما لا يقع الشكر على النعم فإنها تنقطع.

فقد (بين الله صفة لقرية كان أهلها آمنين من العدو والقتال والجوع والسبي، يأتيها الرزق الكثير من سائر البلدان، فكفروا بنعم الله، فعمهم الجوع والخوف، وذاقوا مرارتهما بعد سعة العيش والطمأنينة)[1].

---

(١) تفسير الرازي: ٢٨٩/٣٢.

(١) تفسير المراغي: ١٥٠/١٤.

وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، فحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها، (فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ) يعنى بنبوة محمد – ﷺ –، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي – ﷺ –[1]، وهو قول الجمهور، وهو الصحيح[2]، وقال الماتريدي: ويحتمل قرية أخرى غيرها؛ كانوا على ما ذكر[3].

قال ابن عاشور: والمراد بالقرية أهلها إذ هم المقصود من القرية كقوله: ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢].

وقدم الأمن على الطمأنينة إذ لا تحصل الطمأنينة بدونه، كما أن الخوف يسبّب الانزعاج والقلق[4]، وقال الثعلبي: (كانَتْ آمِنَةً) لا يهاج أهلها ولا يغار أهلها ﴿ مُطْمَئِنَّةً ﴾ قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال للانتجاع[1]، فمعنى كونها ﴿ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ إذن أنه لا يزعجها خوف[2].

وعلى نفس المستوى من إنكار الفعل وانتفائه ما ذكره المفسرون في قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٧ – ٩٩].

لا يحس بالأمن المطلق من عذاب الله، إلا الغافلون الخاسرون، يقول

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٣٧)

(٢) زاد المسير ٢/٥٨٩

(٣) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة: ٦/٥٨٤.

(٤) التحرير والتنوير: ١٤/٣٠٤.

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٦/٤٨.

(٢) محاسن التأويل: ٦/٤١٦، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/٢٤٢.

الله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]

أما المؤمنون حقاً، فحالهم بين الرجاء في رحمة الله – ﷻ –، والخوف منه سبحانه، الذي يعتبر ضرورياً للمسلم حتى يأمن من ظلمه لنفسه، ومن ظلمه لغيره، ومن ظلم غيره له، فالخوف من الله مفتاح الأمن للمسلم في دنياه والفلاح في أخراه [١].

فالآيات التي معنا تتحدث عن أهل القرى الذين كفروا بالله وكذبوا رسله، فظلموا أنفسهم وظلموا الناس بما افتنّوا فيه من أفانين الشرك والمعاصي، وقد جاء في نهايتهم المؤلمة قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٥].

ثم (نعَى على المكذبين من أَهل مكة ومن كان قبلهم، ووبخهم على إصرارهم على الكفر إذ كان سبباً في إهلاكهم وحرمانهم من الخير الوفير، فقال تعالى مخوفاً ومحذرًا من مخالفة أوامره، والتجرؤ على زواجره: ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى ﴾ أي: الكافرة ﴿ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ﴾ أي: عذابنا ونكالنا، ﴿ بياتا ﴾ أي: ليلا ﴿ وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: في حال شغلهم وغفلتهم، ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴾ أي: بأسه ونقمته وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم ﴿ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾؛ ولهذا قال الحسن البصري – / –: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفق وَجِل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن)[١].

---

(١) الأمن في حياة الناس: ٢٠/١.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٠٥/٣.

قال الزمخشري: ومكر الله: استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر، ولاستدراجه [١].

فالآيات تحمل من التخويف البليغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمناً على ما معه من الإيمان، بل لا يزال خائفاً وجلاً أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان[٢] وهي تتضمن وعيدا للكفار المعاصرين لمحمد – ﷺ – لأنه لما أخبر عما فعل في الأمم الخالية قال: ومن يؤمن هؤلاء أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك[٣].

ففي الآيات مواعظ وعبر بحال من سلف من الهالكين المهلكين، اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من المطمئنين الغافلين ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

وفي هذا السياق أيضاً جاء التهديد من المولى – تعالى – لكفار مكة عن طريق الاستفهام من حيث إن غرض الاستفهام في هذه الآيات إنكار هذا الأمر الذي هم عليه، بما يحمل من توبيخٍ الله – تعالى – لهم على أمنهم هذا، وحال لسانهم ينبئ بسوء عاقبة لعصيان قد فعلوه، فالاستفهام إنكار فيه معنى التوبيخ والتهديد[١].

---

(١) الكشاف: ١٣٣/٢.

(٢) تفسير السعدي:٢٩٨/١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٣٢/٢.

(١) ينظر: تفسير الرازي: ٢٢٩/١٧، روح المعاني: ٦٤/٧، فتح البيان في مقاصد القرآن: صديق حسن خان القنوجي: ٤١٥/٦، ت: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

ولكن جاء هنا بطريق الخطاب فقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦٨] مكية.

وقال جل شأنه بعدها: ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ [الإسراء: ٦٩] مكية.

قال ابن كثير: المعني: أفحسبتم أن نخرجكم إلى البر، أأمنتم من انتقامه وعذابه ﴿ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾، وهو: المطر الذي فيه حجارة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ * حَاصِبًا إِلا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [القمر: ٣٤]، وقال: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك: ١٦، ١٧]، وقوله: ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلا ﴾ أي: ناصرًا يرد ذلك عنكم، وينقذكم منه(١).

ثم جاءت الآية التي تليها وفيها التهديد الثاني، قال القرطبي: وقوله تعالى: ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [الإسراء: ٦٩] يعنى في البحر ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ ﴾ القاصف: الريح الشديدة التى تكسر بشدة، من قصف الشى يقصفه، أي: كسره بشدة، والقصف: الكسر، يقال: قصفت الريح السفينة ﴿ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ﴾ أي: بكفركم ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ قال مجاهد: ثائرا، وهو من الثأر، وكذلك يقال لكل من طلب بثأر أو غيره: تبيع وتابع، ومنه: ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٧٨] أي: مطالبة(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٩٦/٥.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٩٣/١٠.

نعم لا تتعجب فأمر (المشركين عجيب يتضرعون إلى الله في البحر فإذا نجاهم منه أعرضوا وكفروا، ألم يعلموا بأن الله قادر على أن يخسف بهم البر، ويدك عليهم جانبه فيصبحوا أثراً بعد عين) ؟ [١].

فجاءت الآيتان اللتان معنا لتخويفهم وتهديدهم إن استمروا على عنادهم ومكابرتهم وكفرهم (فغرورهم ليس في موضعه وأنهم أمنوا حيث لَا مأمن، وظنوا أنهم قد خرجوا عن قدرة اللَّه تعالى مع أنهم قد دخلوا في قدرته) [٢].

ومن هذا المعنى أيضاً جاء قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٧] مكية.

والآيات الكريمة تتحدث عن الكفار بأنواعهم وأشكالهم وأصنافهم فقوله تعالى: ﴿ وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ قد اختلف المفسرون في المراد بهم، قال القرطبي: نزلت في قوم أقروا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان، قاله أكثر المفسرين، وقيل هو قوله: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧] ثم يجعلون له أندادا، وقيل: أنهم أهل كتاب معهم شرك وإيمان، آمنوا بالله وكفروا بمحمد – ﷺ – فلا يصح إيمانهم، وقال ابن عباس: إنهم المشبهة، آمنوا مجملا وأشركوا مفصلا، وقيل: نزلت في المنافقين، المعنى: " وما يؤمن أكثرهم بالله " أي باللسان إلا وهو كافر بقلبه [١].

والظاهر أن الآية تتحدث عن جميع الكفار في كل وقت وحين، فنشاهد

---

(١) التفسير الواضح: ٣٦٨/٢.

(٢) زهرة التفاسير: ٤٤٢٣/٨.

(١) تفسير القرطبي: ٢٧٢/٩.

ذلك حالياً في العالم، فالشرك في عبادة الناس له أشكال كثيرة، وفي تفسير الآية التي معنا يقول أبو جعفر: أفأمن هؤلاء الذين لا يقرُّون بأن الله ربَّهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيرَه ﴿ أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾، تغشاهم من عقوبة الله وعذابه، على شركهم بالله، أو تأتيهم القيامة فجأةً وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربِّهم؛ فيخلدهم الله – ﷻ – في ناره، وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها[1]، والبغتة: وُقُوع الشَّيْء من غير توقع سَابق[2].

وقال الخازن: قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذابِ اللَّهِ ﴾ يعني عقوبة مجللة تعمهم، وقيل: عذاب يغشاهم، وقيل: وقيعة، وقيل: يعني الصواعق والقوارع ﴿ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ يعني فجأة ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ يعني: بقيامها [1].

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل: ٤٥] مكية.

فبعد أن ذكرت الآيات الكريمة مكائد المشركين من قريش، وما تلاه من تهديدهم بالعذاب الشديد يوم البعث والجزاء، جاء التهديد المباشر لهم بعذاب الدنيا بطريق الاستفهام التوبيخي عن طريق التعجيب من حالهم؛ نتيجة لاسترسالهم في المعاندة والمكابرة الفارغة فقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾.

والخسف: (زلزال شديد تنشقّ به الأرض فتحدث بانشقاقها هوّة عظيمة

(١) تفسير الطبري: ١٦/٢٩٠.
(٢) تفسير السمعاني: ٣/٧١.
(١) تفسير الخازن: ٢/٥٥٩.

تسقط فيها الديار والناس، ثم تنغلق الأرض على ما دخل فيها، وقد أصاب ذلك أهلَ بابل، ومكانهم يسمّى خسف بابل، وأصاب قومَ لوط إذ جعل الله عاليها سافلها، وبلادهم مخسوفة اليوم في بُحيرة لوط من فلسطين) [١].

وقال القرطبي: ﴿ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ﴾ كما خسف بقارون، ومنه قوله: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [القصص: ٨١] والاستفهام بمعنى الانكار، أي يجب ألا يأمنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين[٢].

وقد يقصد بهم الذين يعلنون بالإيمان؛ وليسوا بمؤمنين، ويتباهون بالطاعة؛ وليسوا بطائعين، ويتظاهرون بالعبادة؛ وليسوا بعابدين أفأمن هؤلاء ﴿ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ ﴾ كما خسفها بقارون ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ أي من حيث لا يتوقعون؛ كما فعل بأصحاب الظلة، وقد أمطرتهم السحابة ناراً؛ عند توقعهم الماء والرخاء [١].

وقوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ ﴾ أي: في تقلبهم في المعايش واشتغالهم بها، ﴿ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي: لا يُعجزون الله على أي حال كانوا عليه [٢].

قال الثعلبي: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ ﴾ يعني يأخذ طائفة ويدع فتخاف الطائفة الباقية أن ينزل بها ما نزل بصاحبتها، وقال سائر المفسرين:

---

(١) التحرير والتنوير: ١٤/١٦٥.
(٢) تفسير القرطبي: ١٠/١٠٩.
(١) أوضح التفاسير: ١/٣٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٧٥.

التخوّف: التنقّص، يعني ينقص من أطرافهم ونواصيهم الشيء بهذا الشيء حتّى يهلك جميعهم[١].

ثم ختم سبحانه الآية بقوله: ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ فلم يعاجل هؤلاء المشركين بالعقوبة الفورية، وأمهلهم، كما جاء في الصحيح: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[٢].

ولأن الخوف أمر وارد وطارئ على الإنسان، فإنه يؤثر عليه مادياً ونفسياً، ويذهب بنعمة الأمن التي تُمكن الإنسان من السعي والتصرف في هدوء واطمئنان.

ولذلك كان للشعور بالخوف في بعض المواضع، حكم في الشرع يناسب حال الإنسان عند هذه الحال والعكس بالعكس[١]، مما يستدعي معه بالضرورة استخدام أدوات تعبيرية مناسبة للمقام الذي يرد فيه.

ونستطيع أن نتلمس تطبيقاً واقعياً لهذا المنحى في استخدام القرآن الكريم أداة الشرط المناسبة لمعنى الأمن ومضاده، في الحديث عن ضرورة الحفاظ على الصلاة، حيث لم يُجز الإسلام تركها في أي حال من الأحوال.

يقول تعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ

---

(١) تفسير الثعلبي: ١٩/٦.

(٢) الجامع الصحيح المختصر للإمام البخاري الجعفي، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨]: ٢٦٨٧/٦، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(١) ينظر: الأمن في حياة الناس: ١/ ٢٣.

قَانِتِينَ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة ٢٣٩].

فالآية الكريمة مسوقة لتقرير " أن الأعمال الظاهرة تساعد القلب على استحضار الذات الإلهية، والإقبال على الله في كل شيء صعب أو سهل، وفي حالة الصحة وحالة المرض، وفي حالة الخوف وحالة الأمن، فسبحانه هو المهيمن على كل شيء، وهو صاحب الجلال والعظمة[١].

وقد وقعت الكلمتان المتقابلتان (خفتم/أمنتم) ظرفين تقررت فيهما حالات متغايرة من الفعل والسلوك العام تجاه هذه الفريضة.

فالآية الكريمة تحوي شرطين، ففي حالة الخوف جاء الشرط (فإن) لعدم تحقق وقوع الخوف؛ بحسبان أن الصلاة المصحوبة بحالة الخوف قليلة الحدوث، على حين جاء الشرط الثاني بكلمة (فإذا) لتحقق وقوع الأمن وكثرة حدوثه؛ على اعتبار أنه الحالة الأساس؛ إضافة لما تحمله الجملة الواقعة بعد (إذا) من معنى حتمية التكليف؛ لأن الجملة بعدها جاءت في سياق التكليف، لا مجرد الإخبار، فالذكر في حالة الأمن تكليف حتمي لا شك فيه.

مع الوضع في الحسبان كذلك مراعاة الحالات المصاحبة لكلا الشرطين من الناحية الزمنية وامتداداتها والحالة النفسية وتبعاتها، حيث جاء الشرط الأول موجزاً مراعاة لظروف الخوف، الملتبس بالقلق، وكان الشرط الثاني على حالة من الإطناب المناسب؛ وذلك لمناسبة ظرف الأمن والاستقرار ودواعيه؛ حيث المجال متسع للعبادة والذكر على النحو المطلوب، وذلك

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي: ٧٦٨/١، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ.

للعلاقة الظاهرة بين الخاص (الصلاة) والعام (الذكر) وفق الكيفية الواردة في الآية، فذكر تعالى حالة الخوف الطارئة أحياناً، فرخص لعبيده في الصلاة رجالا متصرفين على الأقدام، ورُكْباناً على الخيل والإبل، ونحوه إيماء وإشارة بالرأس حيث ما توجه، هذا قول جميع العلماء وهذه هي صلاة الفذ الذي قد ضايقه الخوف على نفسه في حال المسايفة أو من سبع يطلبه أو عدو يتبعه أو سيل يحمله، وبالجملة فكل أمر يخاف منه على روحه فهو مبيح ما تضمنته هذه الآية(١).

فيكون المعنى: أنكم لو خفتم أي ضرر من القيام فصلوا كما كان، راجلين مشاة، أو ركباناً، فإن أمنتم أي زال عنكم الخوف، فاذكروا الله واعبدوه، واشكروه على نعمة الأمن، كما علمكم من الشرائع، وكيفية صلاة الأمن ما لم تكونوا تعلمون في حالة الخوف وحالة الأمن(٢) فكان الإطناب هنا زائد عن المعنى، ولكن لفائدة بلاغية، والفائدة هي ذكر الخاص ثم العام.

فالمعنى: إذا زال الخوف وأمنتم فاشكروه على الأمن واذكروه بالعبادة، كما أحسن إليكم بما علمكم من الشرائع على لسان نبيه، كيف تصلون حين الأمن وحين الخوف(٣).

وبنفس دقة التعبير في استخدام أداة الشرط جاء قوله تعالى في الحديث عن شعائر الحج في قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣٢٤/١.
(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: ٣٩٥/٢.
(٣) ينظر: تفسير المراغي: ٢٠٢/٢.

مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ... ﴾ [البقرة: ١٩٦].

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ أي: إذا تمكنتم من أداء المناسك، فمن كان منكم مُتَمتِّعًا بالعُمرة إلى الحج، وهو يشمل من أحرم بهما، أو أحرم بالعمرة أولاً، فلما فرغ منها أحرم بالحج وهذا هو التمتع الخاص، وهو المعروف في كلام الفقهاء، والتمتع العام يشمل القسمين، كما دلت عليه الأحاديثُ الصحاح، فإن من الرُواة من يقول: تمتع رسول الله – ﷺ –، وآخر يقول: قَرَن، ولا خلاف أنه ساق الهدي.

وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ أي: فليذبح ما قدر عليه من الهدي، وأقله شاة، وله أن يذبح البقر(١).

فلما كان الخوف أو الإحصار عارضاً عليه أيضاً استعمل أداة الشرط (إن) بدليل زواله، ودوام الأمن والاستقرار، وجاء بأداة الشرط (إذا) بعدها، في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ ﴾ أي تتابع الرخص في أداء مناسك الحج، ومنها لمن يجد الهديّ، فاذا لم يجد الهدي فعليه بالصوم لقوله: ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾، وهذا من باب ذكر الإجمال بعد التفصيل(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٧/١.

(٢) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي زكريا الأنصاري، ص ٤٥، تحقيق: محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

قال البقاعي: " ولما كان الله- ﷻ - بسعة حلمه وعظيم قدرته وشمول علمه قد أقام أسبابا تمنع المفسدين على كثرتهم من التمكن من الفساد أشار إلى ذلك بأداة التحقيق بعد تعبيره عن الاحصار بأداة الشك "(١).

ثم قال تعالى: ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ﴾ أي الهدي أو ثمنه ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر، أيام رمي الجمار، والمبيت بـ "منى" ولكن الأفضل منها، أن يصوم السابع، والثامن، والتاسع، ﴿ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ أي: فرغتم من أعمال الحج، فيجوز فعلها في مكة، وفي الطريق، وعند وصوله إلى أهله.

﴿ ذَلِكَ ﴾ المذكور من وجوب الهدي على المتمتع ﴿ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ بأن كان عند مسافة قصر فأكثر، أو بعيدا عنه عرفات، فهذا الذي يجب عليه الهدي، لحصول النسكين له في سفر واحد ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ أي: في جميع أموركم، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ أي: لمن عصاه(١).

وإذا كان طلب الأمن تصوراً، وطلب تحققه واقعاً، أو حمل المخاطب على الإقرار بمضمونه قد انتفى عن طريق الاستفهام – كما مر – فيلحق به كذلك انتفاء (إرادة الأمن) بجامع الطلب في كل، وبخاصة اذا كان السياق يقضي بإنكاره؛ بسبب وجود تضاد بين المقدمة والنتيجة، كما في قوله تعالى مخاطبا أهل الإيمان في شأن طائفة من المنافقين: ﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ

(١) نظم الدرر للبقاعي: ١٢٩/٣.

(١) تفسير السعدي: ٩٠/١.

وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ٩١].

إن هؤلاء المنافقين وهم قبائل غطفان وبنو أسد ممن كانوا حول المدينة قبل أن يخلص إسلامهم، وبنو عبد الدار من أهل مكة، كانوا يأتون المدينة فيظهرون الإسلام ويرجعون إلى مكة فيعبدون الأصنام[١] إن هؤلاء المنافقين لا يتركون قتال المسلمين تحرُّجا، ولكن يتركونه مراوغة لتحقيق مآربهم، كما هو ديدنهم في كل زمان ومكان.

قال ابن كثير: هؤلاء في الصورة الظاهرة كمن تقدمهم، ولكن نية هؤلاء غير نية أولئك، فإن هؤلاء منافقون يظهرون للنبي - ﷺ - ولأصحابه الإسلام؛ ليأمنوا بذلك عندهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ويصانعون الكفار في الباطن، فيعبدون معهم ما يعبدون، ليأمنوا بذلك عندهم، وهم في الباطن مع أولئك، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ [البقرة: ١٤] وقال هاهنا: ﴿ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ أي: انهمكوا فيها[١].

قال صاحب اللباب: قوله سبحانه ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ ﴾ فلا تتعرَّضوا لهم، ﴿ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ ﴾ فلا يتعرَّضوا لهم[٢].

وكذا قال الخازن: يعني يريدون بإظهار الإيمان أن يأمنوكم فلا تتعرضوا

---

(١) التحرير والتنوير: ١٥٦/٥.

(١) تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٢.

(٢) تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي (ت ٧٧٥هـ): ٥٥٦/٦، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

لهم ﴿ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ﴾ يعني بإظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم[١].

إن إنكار الأمان على هؤلاء مفهوم من طلبهم إياه من مصدرين متناقضين ومحاولتهم الجمع بين متنافرين في الهدف والغاية، وهما أهل الاسلام وأهل الكفر، فهم " يريدون بذلك الأمن في الفريقين "[٢] فضلا عن أن ما تقتضيه فكرة طلب الأمان وتحققه من سكون وطمأنينة نفسية لا تستقيم وطبيعة هؤلاء المنافقين القلقة المضطربة المترددة المتذبذبة، وهو ما بينته الآية الكريمة ﴿ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ﴾ فهم دائمو الارتداد والنكوص والخلف للوعد والسقوط في نفس الهوة العميقة من الاضطراب، كما ظهرت جلياً حالة التربص والمناوشة المستمرة من هؤلاء بالفريق المؤمن بالقول والفعل، ومحاولات إلحاق الأذى بهم، مما يتعارض مع فكرة الرغبة الصادقة في تحقيق الأمن لهم أو لغيرهم؛ فـ " السين " في " ستجدون " – كما قال أبو حيان – ليست للاستقبال: إنما هي دالة على استمرارهم على ذلك الفعل في الزمن المستقبل [١].

فهؤلاء طائفة منافقة،لا عهد لهم ولا ميثاق؛ ومن ثم كان التوجيه الرباني الحاسم ﴿ فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ ﴾ أي: عن القتال ﴿ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ أي: أين لقيتموهم ﴿ وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ أي: بيِّنا واضحاً[٢].

---

(١) تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل: ٤٠٨/١.

(٢) تفسير البغوي: ٢٦٢/٢.

(١) تفسير البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى: ٣٢٠/٣، ت: عبد الرزاق المهدي، ط: دار احياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٢.

وحتى هذا الأمان الظاهري والخارجي لهؤلاء المنافقين لن يستمر طويلاً في ظل الشريعة الغراء، قال أهل التفسير: والكف عن هؤلاء المذكورين في هذه الآية منسوخ بآية السّيف [1].

وإذا كانت الأحكام الشرعية تخفف أو تؤجل حين الخوف وفقدان الأمن؛ ذلك لأنها تؤثر سلبياً على الإنسان في فعل الشيء، أو هلاكه في بعض الأحيان كما في الصلاة أثناء الحرب، نعلم وندرك أهمية الأمن في حياة الإنسان، وأنه بدونه يفقد الإنسان التركيز أولاً، ثم الإتقان ثانياً،فلا يكون هناك خشوع في العبادات، ومن ثم جاء الأمر بالتخفيف أو بالتأجيل.

بل إن فقدان الأمن حتى بالنسبة للمنافقين الكفار يفقدهم التوازن والتركيز في تثبيط همم المؤمنين وفي الكيد لهم، فيصبحوا في خوف من عقاب المؤمنين، وعقاب الكافرين الظاهرين على السواء، وإذا كان نتيجة فقدان الأمن بالنسبة للمنافقين يفعل بهم هذه الأمور، ففقدانه بالنسبة للمسلمين من باب أولى.

هذا، ولا يتحقق للإنسان في الحياة الدنيا الأمن المطلق، ذلك أن الإنسان مهما أوتي من حظ، ومهما أغدق عليه من نعم، ومن سلامة نفس وبدن ووفرة رزق، لا يحس بالأمن الكامل، أو الأمن بمعناه المطلق الذي ينافي كل خوف مهما كانت أسبابه؛ فإذا كان الإنسان مؤمناً فلابد من الابتلاء، وإلا فالأمر ظاهر.

فالأمن المطلق هناك في ظل ظليل، في جنات نعيم، عند رب كريم.

---

(١) تفسير زاد المسير: ١/٤٤٦.

المبحث الخامس

ثمرات الأمن في الآخرة، وعاقبة فقدانه

تحدثنا عن الأمن الدنيوي وأسبابه وثمرته، أما في الآخرة؛ فالحال مغاير تماماً، لأنه يأتي من قبيل إنفاذ الوعد منه – سبحانه – أمراً وتسخيراً، أو تقريراً وإخباراً، ففي الجنة لا يكون هناك فزع ولا خوف ولا قلق ولا فناء، بل ديمومة مطلقة ونعيم مقيم.

إن الآيات التي تتحدث عن النعيم الأخروي بينها قاسم مشترك، هو التأكيد على عموم الأمن المطلق، الظل الممتد لهؤلاء الذين استحقوا الفوز، فتأتي المترادفات لتكوِّن معا ظلالاً يرسّخ هذا المعنى ويؤكده، فالأمن والسلام المطلقان هما العنوان المترائي للعيون على باب الدخول.

ولنقرأ معاً في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥ – ٤٨].

فالآيات تتحدث عن جزاء المتقين، وهم الذين جعلوا بينهم وبين المعاصي والسيئات وقاية وامتثلوا أمر الله – تعالى –، وعملوا بطاعته، واجتنبوا نواهيه، فجعل لهم جزاء ذلك السكينة، وراحة البال في الجنة.

قال الطبري المعنى: إن الذين اتقوا الله بطاعته وخافوه، فتجنبوا معاصيه في جنات وعيون، يقال لهم: ﴿ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴾ من عقاب الله، أو أن تُسلبوا نعمة أنعمها الله عليكم، وكرامة أكرمكم بها[1].

قال البيضاوي: ((ادْخُلُوها) على إرادة القول (بِسَلامٍ) سالمين أو مسلما

(١) تفسير الطبري: ١٠٧/١٧.

عليكم (آمِنِينَ) من الآفة والزوال[١]، وقال الثعلبي: " (بِسَلامٍ) بسلامة (آمِنِينَ) من الموت والعذاب والآفات "[٢].

وقال القرطبي: " بسلام " أي بسلامة من كل داء وآفة، وقيل: بتحية من الله لهم (آمنين) أي من الموت والعذاب والعزل والزوال [٣].

فالمراد: ادخلوا الجنة مع السلامة من كل الآفات في الحال، ومع القطع ببقاء هذه السلامة، والأمن من زوالها[٤]، فهم آمنون من كل خوف وفزع، لا يخشون من إخراج، ولا انقطاع، ولا فناء[٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَنزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ أي: وأخرجنا ما في صدور هؤلاء المتقين من حقد وضغينة بعضهم لبعض[٦] حالة كونهم إخواناً متحابين متصادقين متساندين وهذه هي معاني الأخوة في الله، والتحاب في الله [٧].

كما أن التذييل في الفاصلة: ﴿ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨]

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢١٢/٣.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (ت ٤٢٧هـ): ٣٤٣/٥، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.

(٣) تفسير القرطبي: ٣٢/١٠.

(٤) تفسير الرازي: ١٥٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٣٧/٤.

(٦) تفسير الطبري: ١٠٧/١٧.

(٧) الكتاب: التفسير الواضح: محمد محمود الحجازي: ٢٨٤/٢، الناشر: دار الجيل الجديد، بيروت، ط: العاشرة ١٤١٣هـ.

قد حسم هذا الأمر على النحو الذي تستقيم معه الأبدية والخلود، فهم قد أمنوا فيها من الموت والخروج، أو كما قيل " هذه أَنَصُّ آية في القرآن على الخلود "[١].

وفي هذا الخلود الدائم وعلمهم به، تمام اللذة وكمال النعيم، فإن علم من هو في نعمة ولذة بانقطاعها وعدمها بعد حين – موجب لتنغص نعمه وتكدر لذته[٢].

وهو المشهد بذاته الذي يصور فيه القرآن الكريم منزلة المتقين العالية في الجنة، ولكن بطريقة أخرى في أثناء لذة الأكل وبعده، وهو مشهد شاخص للعيان، تتداعى فيه الصور والحركات والأصوات؛ لتؤكد حتمية الديمومة الأمنية إطاراً للمعاش الأخروي الأبدي في الجنة، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ [الدخان: ٥١ – ٥٥].

هي – إذن – منزلة تقتضي الأمان؛ إذ لا فائدة ترجى من حظوة يتبعها خوف، وهنا لفتة، فوصف القرآن المكان بـ (أمين) بدلاً عن (آمن) في قولنا (مكان آمن) فيه استعارة؛ لأن المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره[٣].

والمعنى كما قال ابن كثير: للمتقين في الآخرة مقام أمين وهو الجنة، قد

(١) تفسير البغوي: ٣٨٣/٤.
(٢) تفسير فتح القدير للشوكاني: ٢٦٣/١، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٤م.
(٣) الكشاف: ٤٧٨/٥.

أمنوا فيها من الموت والخروج، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيده، وسائر الآفات والمصائب ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ وهذا في مقابلة ما أولئك فيه من شجر الزقوم، وشرب الحميم(١).

﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ ﴾ وهو ما رقَّ من الثِّياب ﴿ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ وهو ما غلظ منه ﴿ مُتَقَابِلِينَ ﴾ متواجهين، ثم قال سبحانه ﴿ كَذَلِكَ ﴾ كما وصفنا ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ ﴾ وهنَّ النساء النَّقيات البياض ﴿ عِينٍ ﴾ واسعة الأعين ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ من الموت (٢).

ولهذا قال: ﴿ لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلا مِنْ رَبِّكَ ﴾ [الدخان: : ٥٦].

واختار الطبري أن يكون الأمان خاصا بما تحدثه الفاكهة من اضطراب البطن نتيجة الأكل فقال : ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التي نأكلها، وهم يخافون مكروه عاقبتها، وغبّ أذاها مع نفادها من عندهم، وعدمها في بعض الأزمنة والأوقات (٣).

وقال الخازن: (آمِنِينَ) أي : من نفادها ومن مضرتها، وقيل آمنين فيها من الموت والأوصاب والشيطان (٤)

من أجل ذلك قال الماتريدي : وقوله: (آمِنِينَ) يحتمل وجهين: أحدهما: (آمِنِينَ) عن انقطاع فواكهها وثمارها وما ذكر، ويحتمل (آمِنِينَ) وفيها في

(١) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٧.
(٢) تفسير الوجيز للواحدي: ٩٨٦/١.
(٣) تفسير الطبري: ٥١/٢٢.
(٤) تفسير الخازن: ١٢٠/٤.

الجنة ليس لهم خوف الخروج عنها والزوال، وآمنون عن جميع الآفات التي تكون في الدنيا، واللَّه أعلم[1].

ويترجح لي أن الأمان عام، فيكون للبطن مما تحدثه الفاكهة فيها؛ نتيجة للأخلاط المتنوعة الداخلة، فليست هذه كالتي في الدنيا، فالأمر مختلف، وكذلك يأكلون حالة كونهم آمنين عن جميع الآفات التي تكون في الدنيا، ومن الموت والأوْصَاب والشيطان، فكلمة الأمان تشمل كل هذه الأشياء.

وهنا يتحقق التكريم الحسي والمعنوي؛ ليتم الترابط بين أجزاء المشهد الكريم، ولذا جاء التفصيل المتمثل في العيون والأنهار واللباس والطعام واللذة، ولهذا النعيم صفة الخلود التي تتسق مع كلمة أمين، وتتفق أيضاً مع وقاية الله المؤمنين لنار الجحيم، وبذلك يكتمل المشهد وتظهر الصورة كاملة.

بل إن التناغم والانسجام بين الفعل المضارع (يدعون) الذي يدل على الحدوث والتجدد، والحال المصاحبة له (آمنين) في قوله: ﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴾ [الدخان: ٥٥]، يدل على تجدد الحال لتجدد الفعل، فيدل على الاستمرارية والدوام كذلك.

والأمر ليس محصوراً في أمان أهل الجنة عند دخولها، وعند الأكل والشرب، بل في منازلهم عندما يأوون كذلك، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُون ﴾ [سبأ: ٣٧] مكية.

فالآيات الكريمة تأتي رداً على المشركين المغترين بالمال والولد والجاه والسلطان، وتخبرنا أن هذه الأموال، وتلك الأولاد لا تقربهم من الله تعالى،

(١) تفسير الماتريدي: ٢١٣/٩.

وتجعله يرضى عنهم؛ لأن هذا ليس هو المعيار عنده، فبيّن فساد استدلالهم في قولهم: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ: ٣٥] بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِى تُقَرّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ ءامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ ﴾.

قال الزمخشري: المعنى: أنّ الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحداً إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة(١).

وقال الرازي: وقوله: ﴿ فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضّعْفِ ﴾ أي الحسنة فإن الضعف لا يكون إلا في الحسنة وفي السيئة لا يكون إلا المثل، ثم زاد وقال: ﴿ وَهُمْ فِى الْغُرُفَاتِ ءامِنُونَ ﴾ إشارة إلى دوام النعيم وتأبيده فإن من تنقطع عنه النعمة لا يكون آمناً(٢).

وقال ابن الجوزي: آمنون من الموت(٣) قال ابن كثير: أي: في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى، ومن كل شر يُحْذَر منه(٤)، وقال السعدي: آمنون من المكدرات والمنغصات، لما هم فيه من اللذات، وأنواع المشتهيات، وآمنون من الخروج منها والحزن فيها(٥).

---

(١) الكشاف: ٥٨٦/٣.
(٢) مفاتيح الغيب: ٢٢٧/٢٥.
(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٥٠١/٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٦.
(٥) تيسير الكريم الرحمن، ص ٦٨١.

إن الإشفاق والخوف من عذاب الله – دائماً وأبداً – دأب المؤمن؛ لأن عذاب ربه غير مأمون الوقوع، لا يأمنه أحد ممن يفهم ويعقل عن المولى – تعالى – أمره، فليس هناك أمان إلا من الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [المعارج: ٢٨].

هذه هي القاعدة التي ننطلق منها إلى تأكيد أن الأمن في الآخرة يكون للمؤمنين فقط الذين اجتازوا الامتحان في الدنيا ونجحوا فيه، أما غيرهم فلا إيمان ولا أمان ولا اطمئنان ولا راحة.

فذكر المولى – تعالى– من صفات المؤمنين أنهم مشفقون من عذاب ربهم – سبحانه–؛ ذلك لأنه غير مأمون بالنسبة لهم، لأنه لا يأمن مكر الله – تعالى – إلا الذين خسروا أنفسهم بالانغماس في الشهوات وعمل السيئات، فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾.

وهذا كقوله: ﴿ الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الحج: ٣٥] ومن يدوم به الخوف والإشفاق فيما كلف يكون حذراً من التقصير حريصاً على القيام بما كلف به من علم وعمل(١).

ثم ذكر الداعي لهم إلى هذا الخوف فقال: ﴿ إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ أي لا ينبغى لأحد أن يأمن عذاب الله وإن بالغ فى الطاعة (٢).

وهي جملة معترضة، أي غير مأمون لهم، وهذا تعريض بزعم المشركين الأمْنَ منه إذ قالوا: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٨](٣).

---

(١) تفسير الرازي: ٣٠/٦٥٤.

(٢) تفسير المراغي: ٢٩/٧٢.

(٣) تفسير ابن عاشور: ٢٩/١٧٣.

وعدم احساس الإنسان وشعوره بالأمن في الدنيا أمر لا يطاق، وقد يكون في وقت دون الآخر، وفي مكان دون مكان، ولكن في الآخرة شيء آخر، فالوقت مديد لا نهاية له، والمكان محصور وهو النار، هذا من جانب، ومن جانب آخر الأمور قد ظهرت على حقيقتها، والندم قد حضر، ولا مناص ولا مهرب؛ من أجل ذلك فالخوف والقلق لا يقارن بما في الدنيا، لا من قريب ولا من بعيد.

وهذا ما نراه في هذا المشهد الذي يفصّل القرآن الكريم فيه جزاء المتقين وجزاء المذنبين، فيقول تعالى فيما أعده للأولين ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٩] مكية.

فهذا بيان للكيفية التي يجازي الله بها عباده المتقين، ودل على أن الكافرين ليسوا آمنين، بل هم في فزع وخوف ورعب؛ لأن حال المتقين ضد الكافرين، قال الطبري: يقول تعالى ذكره: ﴿ مَنْ جَاءَ ﴾ الله بتوحيده والإيمان به، وقول لا إله إلا الله موقنا به قلبه ﴿ فَلَهُ ﴾ من هذه الحسنة عند الله ﴿ خَيرٌ ﴾ يوم القيامة، وذلك الخير أن يثيبه الله ﴿ مِنْهَا ﴾ الجنة، ويؤمنِّه ﴿ مِنْ فَزَعٍ ﴾ الصيحة الكبرى وهي النفخ في الصور [١].

وقال السمرقندي: المراد من فزع يوم القيامة آمنون[٢]، قال الماتريدي: في قوله: ﴿ وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ أخبر أنهم إذا أتوا ربهم بالتوحيد يكونون آمنين من فزع ذلك اليوم وهوله[٣].

(١) تفسير الطبري: ٥٠٧/١٩.
(٢) بحر العلوم: ٥٩٥/٢.
(٣) تفسير الماتريدي: ١٤٣/٨.

فإن قلت: كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من في السموات ومن في الأرض.

قلت: إن الفزع الأول هو ما لا يخلو عنه أحد عند الإحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة، وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك الضرر إليه، فأما الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه، وأما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدة الأهوال فلا ينفك منه أحد(١).

وعلى عكس أمن المؤمنين، جاء البيان الوافي والجزاء المقابل لفقدان الأمن يوم القيامة بالنسبة للكافرين المفهوم من الآية السابقة عن طريق المقابلة، ولكنه زاده تأكيداً، فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴾ يقول: ومن جاء بالشرك به يوم يلقاه، وجحود وحدانيته ﴿ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ في نار جهنم، وقوله: ﴿ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يقال لهم: هل تجزون أيها المشركون إلا ما كنتم تعملون، إذ كبكم الله لوجوهكم في النار، وإلا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا بما يسخط ربكم(٢).

وقال الله تعالى أيضاً بطريق المقارنة بين الأخيار والأشرار ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠] مكية.

فهذه الآية الكريمة تهديد واضح وصارخ في وجه هؤلاء الطغاة الظالمين، الذين ظلموا أنفسهم أولاً بتعريضها للخسارة النفسية بخسارة أنفسهم في عالم الضمير، وثانياً بتعريضها للعذاب الأليم المقيم.

---

(١) تفسير الخازن: ٣/٣٥٥.

(٢) تفسير الطبري: ١٩/٥٠٧.

فالمعنى: (إن الذين يميلون عن الحق في شأْن آياتنا، فيكذبون القرآن، ويصفرون ويصفقون عند قراءة النبي – ﷺ – له، ويصفونه بالكذب وبالسحر وبالشعر وبأَساطير الأولين إن هؤُلاء الملحدين – لا يخفون علينا، فنحن نعلمهم ونعم إلحادهم، وسوف نجازيهم بالنار على هذا الإلحاد)(١).

واختلف المفسرون في الإلحاد الذي أشير إليه ما هو؟ فقيل: الإلحاد بالتكذيب، وقيل: الإلحاد بالمكاء والصفير واللغو الذي ذهبوا إليه، وقيل: إلحادهم هو أن يوضع الكلام غير موضعه، ولفظة الإلحاد تعم هذا كله(٢).

قال القرطبي : وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ﴾ على وجهه وهو أبو جهل في قول ابن عباس وغيره ﴿ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ قيل: النبي – ﷺ –، وقيل: عمار بن ياسر، وقيل: حمزة، وقيل: عمر بن الخطاب، وقيل: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وقيل: المؤمنون، وقيل: إنها على العموم، فالذي يلقى في النار الكافر، والذي يأتي آمنا يوم القيامة المؤمن(٣).

ثم هدد الله الملحدين فقال: ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ فلا تخفون علي المولى تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كانُوا ﴾ [الْمُجَادَلَةِ: ٧]، وزاد الأمر وعيداً وتهديداً فقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

فالفرق شاسع بين المؤمن والكافر، فالإلقاء في النار، وما يتقدمه من

(١) التفسير الوسيط: ٨/٧١١.
(٢) تفسير ابن عطية: ٥/١٨.
(٣) تفسير القرطبي: ١٥/٣٦٦.

خوف وحيرة وقلق واضطراب، وما يتبعه كذلك من هلع وخوف وفزع سببه الكفر والإلحاد، والأمن يوم القيامة من كل خوف – من النار وغيرها – سببه الإيمان والتوحيد الخالص لله رب العالمين، وما يتبعه من عمل صالح، فالمؤمن يوم القيامة في أمان واطمئنان وسكينة، كل ما هنالك يدعو إلى ذلك، فالفزع والاضطراب الذي يعتري الإنسان عند المخاوف وعند المطامع لا يوجد الآن، الجنات العاليات، والنعيم المقيم، والألم والشقاء الذي قد ولى وفات، وأفضل من ذلك رضوان من الله أكبر، أما الكافر فلا أمان ولا إيمان فالعذاب قد حضر، والأمل قد فقد، والندم مستمر، وأشد من ذلك غضب من الله دائم؛ فلا يقول عاقل بالتسوية بين الحالين أو الفريقين.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله – ﷺ –.

وبعد؛؛؛

فهذا ما وفقني الله – تعالى – إليه في هذا البحث، تناولت فيه موضوعاً من موضوعات التفسير المهمة وهو معنى (الأمن) في محاولة للوصول إلى الخصائص الموضوعية المتميزة التي حظي بها هذا الموضوع، والتكامل المعجز في الشواهد القرآنية التي خضعت للدراسة، ومن النتائج التي توصلت إليها ما يلي:

(١) ترجع كلمة (الأمن) وما يشتق منها في القرآن الكريم في أصلها إلى ثلاثة معاني أصلية وهي (ضد الخوف، الأمانة، المكان الآمن) كما تتشعب توجيهات هذه الأصول، وما يتفرع منها حسب ما يقتضيه السياق والمناسبة، ولكنها لا تخرج في مجملها عن معانى: السلامة والاطمئنان النفسي، وانتفاء الخوف على حياة الإنسان – دنيوياً وأخروياً – أو على ما تقوم به حياته من أسباب ومصالح وأهداف.

(٢) الأمن نعمة عظيمة، بل هي من أجل النعم، والطريق هو العودة إلى هدي القرآن الكريم، ليس إلا؛ فيتبدل الخوف القائم الآن في جميع أنحاء الأمة الإسلامية أمنا، كذا وعد الله ولا يخلف وعده.

(٣) الأمن المطلق لا يكون في هذه الدنيا؛ ذلك أن طبيعة الدنيا، وطبيعة الإنسان وما حباه الله به من صفات تقتضي الخوف الجزئي على أقل تقدير، فالغيب المستور، والموت المحتوم، وما بعده من هموم، كل ذلك يسبب الخوف من الأمور المستقبلية.

(٤) لم ترد كلمة (الأمن) في القرآن الكريم على صيغة الأمر المباشر؛ إنما جاءت بصيغ مختلفة، طالبا تحقق الأمن عن طريق تصدير الأمر في شكله الخبري التقريري على معنى الجعل التكويني أو التشريعي الوارد في قوله: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥].

(٥) إن حكاية القرآن الكريم عن الأمن، جاء جزئياً في بعض الآيات الكريمة، ومقيداً كذلك في بعضها الآخر، وكلياً مطلقاً في بعض الآيات، كل على حسب اقترانه بالسياق السابق واللاحق، وبحالة الفعل، والزمن.

(٦) الأمن لا يقبل التجزئة والتبعيض، فهو أمر كلي شامل، فالخوف والأمن متضادان إذا وجد أحدهما ارتفع الآخر ضرورة، فلا يمكن أن يأمن الإنسان من شيء، ويخاف منه في نفس الوقت؛ من أجل ذلك استخدم القرآن الكريم المقابلة اللفظية استخداماً نفسياً في مجالي الترغيب والترهيب في حديثه عن ثنائية الأمن والخوف، تأكيداً على التحول الشعوري والمعنوي بين الطرفين.

(٧) اقترن معنى الأمن في القرآن الكريم بمجموعة من الصفات النبيلة، والحالات الشعورية المتكاملة؛ ليدفع ويحمس على سلوك الطريق المؤدي لها، محذراً من ثبوت ضدها في حالة النفي.

(٨) الكافرون على اختلاف أديانهم وألوانهم وأجناسهم وصفاتهم لا يعيشون أمناً حقيقياً، وإن كانوا في أرقى أماكن الدنيا؛ وأجملها وأحصنها؛ ذلك لأن الأساس الذي يبنى عليه الأمن مفقود، وهو الارتباط بمصدر الوجود– ﷻ – فهو مصدر الأمن الداخلي لدى الإنسان كائناً من كان،

وحيثما كان.

(٩) استخدم القرآن الكريم أدوات الأمن ووسائله وبخاصة أدوات الشرط، لكل مناسبة حسب المقام؛ ذلك لأن الأمن حالة شعورية في داخل المرء يتبدل معه الحكم الشرعي أو الحالة الوصفية أو النفسية حضوراً وإياباً، فجاءت أدوات الشرط موجزة في بعض الأحيان دون البعض الآخر.

(١٠) لم ترد صيغة (الأمن) على طريقة الاستفهام – مهما كانت صيغه – على معنى التقرير، فلا يحتمل معنى التقرير أبداً، ومن هنا ندرك الارتباط القوي بين كون لفظ (الأمن) لم يجيء على صيغة الأمر، وبين غياب التقرير كمعنى من معاني الاستفهام؛ ولذا جاء الاستفهام فيها على معاني الانكار والتقريع والتعجب وغير ذلك؛ للارتباط الواضح بين فعل من توجه إليهم الاستفهام بالأمن، ومآلهم المحتوم.

(١١) هناك علاقة بين الإيمان والأمانة والأمن، وهذه الألفاظ الثلاثة تنتمي لنفس المادة، والأصل الذي يتفرع منه كل شيء هو الإيمان، والإيمان يعطي الأمن، ويعطي الأمانة كذلك فلا إيمان حقيقي لمن لا أمانة له.

(١٢) الأمن نتيجة وليس فعلاً من الأفعال، فمهما تظاهر الإنسان أنه في أمان وبداخله خوف وقلق واضطراب لا يكون في أمان، فيأتي الأمن نتيجة أسباب معينة، ويأتي نتيجة حصول شروط معينة على رأسها الإيمان الصحيح والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، النوع الأول في معرفة المكي والمدني، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
٢. أدب الدنيا والدين للماوردي (ت ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٣. أسباب النزول للواحدي (ت ٤٦٨هـ)، المحقق: كمال بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ.
٤. الإسلام والأمن الاجتماعي: د/ محمد عمارة، دار الشروق ٢٠٠٧م.
٥. الإسلام والأمن الاجتماعي: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٦. الأمن الاجتماعي ضبط المصطلح وتأصيله الشرعي: د/ عماد "محمد رضا" علي التميمي ود/ إيمان "محمد رضا" علي التميمي، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الذي تقيمه كلية الشريعة في جامعة آل البيت بعنوان الأمن الاجتماعي في التصور الإسلامي ٢٠١٢م.
٧. الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام: عبد الله بن عبد المحسن ابن عبد الرحمن التركي، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية.
٨. أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.

٩. البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار احياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
١٠. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
١١. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤هـ.
١٢. التربية الأمنية في ضوء القرآن الكريم (دراسة موضوعية): د/ عبد السلام حمدان اللوح، د/ محمود هاشم عنبر، نشر في مجلة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الاسلامية) مج ١٤ العدد ١ يناير ٢٠٠٦م.
١٣. التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (ت ٧٤١هـ)، المحقق: د/ عبدالله الخالدي الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: الأولى ١٤١٦هـ.
١٤. التعريفات: للشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
١٥. تفسير ابن أبي حاتم المسمى تفسير القرآن العظيم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة ١٤١٩هـ.
١٦. تفسير ابن كثير: تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة ٢٠٠٢م.
١٧. تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود (ت ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٨. تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبدالله العمر وآخرون، دار طيبة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

١٩.تفسير الجلالين لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى.
٢٠.تفسير القاسمي (محاسن التأويل) للقاسمي (ت ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.
٢١.تفسير القرآن العظيم لابن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ.
٢٢.تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لأبي منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، المحقق: د/ مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٢٣.تفسير الماوردي (النكت والعيون) لأبي الحسن الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٤.تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م.
٢٥.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي: ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط: الثانية ١٤١٨هـ.
٢٦.تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للنسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٢٧.التفسير الواضح لمحمد محمود الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد – بيروت، ط: العاشرة ١٤١٣هـ.
٢٨.التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ط: الأولى، (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣ م) (١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م).
٢٩.التوقيف على مهمات التعاريف للمِناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ط: الأولى ١٤١٠هـ.
٣٠.جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
٣١.الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.
٣٢.الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (ت ٨٧٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى ١٤١٨هـ.
٣٣.الدر المنثور للسيوطي، الناشر: دار الفكر، بيروت،
٣٤.دلائل النبوة لأبي بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، المحقق: د/ عبد المعطي قلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط: الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٣٥.زاد المسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٦.زهرة التفاسير لأبي زهرة (ت ١٣٩٤هـ)، ط: دار الفكر العربي.
٣٧.سر الإعجاز في تنوع الصيغ الصرفية المشتقة من أصل لغوي واحد في القران: عودة منيع القيسي، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى ١٩٩٦م.
٣٨.السراج المنير للخطيب الشربيني (ت ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة ١٢٨٥هـ.
٣٩.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٤٠.صحيح للإمام البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة، جامعة دمشق، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٤١.صحيح البخاري (جامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ – وسننه وأيامه) للإمام البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
٤٢.الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي (ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.
٤٣.صحيح مسلم (الجامع الصحيح) للإمام مسلم، الناشر: دار الجيل، بيروت + دار الأفاق الجديدة، بيروت.
٤٤.صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٤٥.فتح البيان في مقاصد القرآن: صديق حسن خان القنوجي: تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
٤٦.فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لأبي زكريا الأنصاري، تحقيق: محمد علي الصابوني، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٤٧.فتح القدير للشوكاني، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٤م.
٤٨.القاموس المحيط: الفيروز أبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوس، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٤٩.القواعد الفقهية المتعلقة بالأمن الشامل: نور الدين الخادمي، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ٢١، العدد ٤٢،
٥٠.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٧هـ.
٥١.الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م.
٥٢.لباب التأويل للخازن (ت ٧٤١هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.
٥٣.اللباب في علوم لابن عادل (ت ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٥٤.لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: الثالثة ١٩٩٦م ١٤١٤هـ.

٥٥.المحرر الوجيز لابن عطية (ت ٥٤٢هـ)، المحقق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
٥٦.مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ١٤١٥هـ ١٩٩٥م،
٥٧.المستدرك على الصحيحين للحاكم للنيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
٥٨.مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الاصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي ١٩٧٢م.
٥٩.المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ) المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط: الأولى ١٤١٢هـ.
٦٠.مفهوم الأمن في القرآن الكريم: أ.د/ الشاهد البوشيخي، مجلة حراء، العدد: ١٣ (أكتوبر – ديسمبر) ٢٠٠٨م.
٦١.مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، ت: عبدالسلام هارون، دار الفكر، دمشق ١٩٧٩م.
٦٢.مقومات الأمن في القرآن الكريم: إبراهيم الهويمل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد ١٥، العدد ٢٩.
٦٣.نظرات في كتاب الله: هِشام عبد الرَّزاق الحمص، دار الكلم الطيب، دمشق، ط: الخامسة ٢٠٠٣هـ.